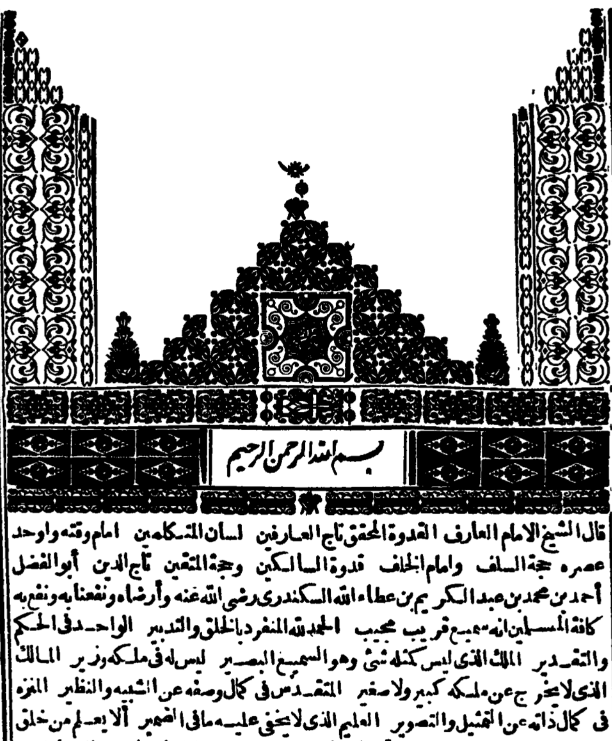
هذا كتاب التنوير في اسقاط التدبير تأليف الشيخ الامام
العلامة القدوة وحيد عصره وفريد دهره القطب
الرباني أبي الفضل أحمد بن محمد بن عبد الكريم
ابن عطاء الله السكندري المالكي
رضي الله تعالى عنه واعاد
علينا من بركاته
وعلومه
آمين



قال الشيخ الامام العارف القدوة المحقق تاج العارفين لسان المتكلمين امام وقته واوحد عصره حجة السلف وامام الخلف قدوة السالكين وحجة المتقين تاج الدين أبو الفضل أحمد بن محمد بن عبد الكريم بن عطاء الله السكندري رضي الله عنه وأرضاه ونفعنا به ونفع به كافة المسلمين انه سميع قريب مجيب الحمد لله المنفرد بالخلق والتدبير الواحد في الحكم والتقدير الملك الذي ليس كمثله شئ وهو السميع البصير ليس له في ملكه وزير المالك الذي لا يخرج عن ملكه كبير ولا صغير المتقدس في كمال وصفه عن الشبيه والنظير المنزه في كمال ذاته عن التمثيل والتصوير العليم الذي لا يخفى عليه ما في الضمير ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير العالم الذي أحاط علمه بمبادي الامور ونهاياتها السميع الذي لا فضل في سمعه بين جهر الاصوات واخفاتها الرازق وهو المنعم على الخليقة بايصال أقواتها القيوم وهو المتكفل بها في جميع حالاتها الواهب وهو الذي من على النفوس بوجود حياتها القدير وهو المعيد لها بعد وجود وفاتها الحسيب وهو المجازي لها يوم قدومها عليه بحسناتها وسيآتها فسبحانه من اله من على العباد بالجود قبل الوجود وقام لهم بأرزاقهم مع كلتا حالتيهم من اقرار وجحود وأمد كل موجود بوجود عطائه وحفظ وجوده وجود العالم بامداد بقائه وظهر بحكمته في أرضه وبقدرته في سمائه وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة عبد مفوض لقضائه مستسلم له في حكمه وامضائه وأشهد أن محمدا عبده ورسوله المفضل على جميع أنبيائه المخصوص بجزيل فضله وعطائه الفاتح الخاتم وليس ذلك لسوائه الشافع في كل العباد حين يجمعهم الحق لفصل قضائه صلى الله عليه وعلى سائر أنبيائه

وعلى آله وصحبه المستمسكين بولائه وسلم تسليما كثيرا * (أما بعد) * اعلم يا أخي جعلك الله من أهل حبه واتحفك بوجود قربه وأذاقك من شراب أهل وده وأمنك بدوام وصله من اعراضه وصده ووصلك بعباده الذين خصهم بمراسلاته وجبر كسر قلوبهم لما علموا أنه لا تدركه الابصار بأنوار تجلياته وفتح رياض القرب وأهب منها على قلوبهم واردات نفحاته وأشهدهم سابق تدبيره فيهم فسلموا اليه القياد وكشف لهم عن خفي لطفه في صنعه فخرجوا عن المنازعة والعناد فهم مستسلمون اليه ومتوكلون في كل الامور عليه علما منهم انه لا يصل عبد الى الرضا الا بالرضا ولا يبلغ الى صريح العبودية الا بالاستسلام الى القضا فلم تطرقهم الاغيار ولم ترد عليهم الاكدار كما قال قائلهم

لا تهتدي نوب الزمان اليهم * ولهم على الخطب الشديد لجام

تجري عليهم أحكامه وهم لجلاله خامدون ولحكمه مستسلمون كما قال

تجري عليك صروفه * وهموم سرك مطرقه

وان من طلب الوصول الى الله تعالى تحقيق عليه ان يأتي الامر من بابه وان يتوصل اليه بوجود أسبابه وأهم ما ينبغي تركه والخروج عنه والتطهر منه وجود التدبير ومنازعة المقادير فصنفت هذا الكتاب مبينا لذلك ومظهرا لما هنالك (وسميته التنوير في اسقاط التدبير) ليكون اسمه موافقا لمسماه ولفظه مطابقا لمعناه والله أسأل أن يجعله خالصا لوجهه الكريم وأن يتقبله بفضله العميم وان ينفع به الخاص والعام بمحمد عليه أفضل الصلاة والسلام انه على ما يشاء قدير وبالاجابة جدير

قال الله سبحانه وتعالى فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما وقال تعالى وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة سبحان الله وتعالى عما يشركون وقال تعالى أم للانسان ما تمنى فلله الآخرة والأولى وقال صلى الله عليه وسلم ذاق طعم الايمان من رضي بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا وقال صلى الله عليه وسلم اعبد الله بالرضا فان لم تستطع ففي الصبر على ما تكره خير كثير الى غير ذلك من الآيات والاحاديث الدالة على ترك التدبير ومنازعة المقادير اما نصا صريحا واما اشارة وتلويحا وقد قال أهل المعرفة من لم يدبر دبر له وقال الشيخ أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه ان كان ولا بد من التدبير فدبروا أن لا تدبروا وقال أيضا لا تختر من أمرك شيأ واختر ان لا تختار وفر من ذلك المختار ومن فرارك ومن كل شئ الى الله تعالى وربك يخلق ما يشاء ويختار * فقوله تعالى في الآية الأولى فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم فيه دلالة على ان الايمان الحقيقي لا يحصل الا لمن حكم الله ورسوله صلى الله عليه وسلم على نفسه قولا وفعلا وأخذا وتركا وحبا وبغضا ويشمل ذلك حكم التكليف وحكم التعريف والتسليم والانقياد واجب على كل مؤمن في كليهما * فاحكام التكليف الاوامر والنواهي المتعلقة باكتساب العباد وأحكام التعريف هو ما أورده عليك من قهر المراد فتبين من هذا انه لا يحصل لك حقيقة الايمان الا بأمرين بالامتثال لامره والاستسلام لقهره ثم انه سبحانه وتعالى لم يكتف بنفي الايمان عمن لم يحكم أو حكم ووجد الحرج

في نفسه على ما تقضي حتى أقسم على ذلك بالربوبية الخاصة برسوله صلى الله عليه وسلم رأفة وعناية وتخصيصا ورعاية لانه لم يقل فلا والرب وانما قال فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ففي ذلك تأكيد بالقسم وتأكيد في المقسم عليه علما منه سبحانه بما النفوس منطوية عليه من حب الغلبة ووجود النصرة سواء كان الحق عليها أولها وفي ذلك اظهار العناية برسوله صلى الله عليه وسلم اذ جعل حكمه حكمه وقضاءه قضاءه فأوجب على العباد الاستسلام لحكمه والانقياد لامره ولم يقبل منهم الايمان بالاهية حتى يذعنوا لاحكام رسوله صلى الله عليه وسلم لانه كما وصفه ربه وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى فحكمه حكم الله وقضاؤه قضاء الله كما قال ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله وأكد ذلك بقوله يد الله فوق أيديهم وفي الآية اشارة أخرى لعظيم قدره وتفخيم أمره صلى الله عليه وسلم وهي قوله تعالى فلا وربك فأضاف نفسه تعالى اليه كما قال في الآية الاخرى كهيعص ذكر رحمة ربك عبده زكريا فأضاف الحق سبحانه اسمه الى محمد صلى الله عليه وسلم وأضاف زكريا اليه ليعلم العباد فرق ما بين المنزلتين وتفاوت ما بين الرتبتين ثم انه تعالى لم يكتف بالتحكيم الظاهر فيكونوا به مؤمنين بل اشترط فقدان الحرج وهو الضيق من نفوسهم في أحكامه صلى الله عليه وسلم سواء كان الحكم بما يوافق أهواءهم أو يخالفها وانما تضيق النفوس لفقدان الانوار ووجود الاغيار فعنه يكون الحرج وهو الضيق والمؤمنون ليسوا كذلك اذ نور الايمان ملأ قلوبهم فاتسعت وانشرحت فكانت واسعة بنور الواسع العليم ممدودة بوجود فضله العظيم مهيأة لواردات أحكامه مفوضة اليه في نقضه وابرامه ﴿فائدة﴾ اعلم ان الحق سبحانه اذا أراد أن يقوي عبدا على ما يريد ان يورده عليه من وجود حكمه ألبسه من أنوار وصفه وكساه من وجود نعته فتنزلت الاقدار وقد سبقت اليه الانوار فكان بربه لا بنفسه فقوي لاعبائها وصبر للأوائها وانما يعينهم على حمل الاقدار ورود الانوار وان شئت قلت وانما يعينهم على حمل الاحكام فتح باب الافهام وان شئت قلت وانما يعينهم على حمل البلايا واردات العطايا وان شئت قلت وانما يقويهم على حمل اقداره شهود حسن اختياره وان شئت قلت وانما يصبرهم على وجود حكمه علمهم بوجود علمه وان شئت قلت وانما صبرهم على ما جرى علمهم بأنه يرى وان شئت قلت وانما يصبرهم على أفعاله ظهوره عليهم بوجود جماله وان شئت قلت وانما صبرهم على القضا علمهم بأن الصبر يورث الرضا وان شئت قلت وانما صبرهم على الاقدار كشف الحجب والاستار وان شئت قلت وانما قواهم على حمل أثقال التكاليف ورود أسرار التعريف وان شئت قلت انما صبرهم على أقداره علمهم بما أودع فيها من لطفه وابراره فهذه عشرة أسباب توجب صبر العبد وثبوته لاحكام سيده وقوته عند ورودها وهو المعطي لكل ذلك بفضله والمان بذلك على ذوي العناية من أهله ولنتكلم الآن على كل قسم منها لتكمل الفائدة وتحصل الجدوى والعائدة ﴿فأما الاول﴾ وهو انما يعينهم على حمل الاقدار ورود الانوار وذلك أن الانوار اذا وردت كشفت للعبد عن قرب الحق سبحانه وتعالى منه وان هذه الاحكام لم تكن الا عنه فكان علمه بان الاحكام انما هي من سيده سلوة له وسببا لوجود صبره ألم تر لما قال الله سبحانه لنبيه صلى الله عليه وسلم واصبر

لحكم ربك فانك باعيننا أى ليس هو حكم غيره فيشق عليك بل هو حكم سيدك القائم باحسانه اليك ولنا فى هذا المعنى

وخفف عنى ما ألاقى من العنا * بأنك أنت المبتلى والمقدر

وما لامرئ عما قضى الله معدل * وليس له منه الذى يتخير

ومثال ذلك لو ان انسانا فى بيت مظلم فضرب بشئ ولا يدرى من الضارب له فلما أدخل عليه مصباح نظر فاذا هو شيخه أو أبوه أو أميره فان علمه بذلك مما يوجب صبره على ماهنالك (الثانى) وهو قوله انما يعينهم على حمل الاحكام فتح باب الافهام * اعلم انه اذا أورد الله تعالى على عبده حكما وفتح له باب الفهم عنه فى ذلك الحكم فاعلم انه أراد سبحانه ان يحمله عنه وذلك أن الفهم يرجعك الى الله و يحملك اليه و يجعلك متوكلا عليه وقد قال تعالى ومن يتوكل على الله فهو حسبه أى كافيه ووافيه وناصره على الاغيار وراعيه لان الفهم عن الله تعالى يكشف لك عن سر العبودية فيك وقد قال سبحانه وتعالى أليس الله بكاف عبده وكل هذه الوجوه العشرة ترجع الى الفهم عنه وانما هى أنواع فيه * (الثالث) وهو قوله انما يعينهم على حمل البلايا واردات العطايا وذلك أن واردات العطايا السابقة من الله اليك تذكرك انما يعينك على حمل أحكام الله اذ كما قضى لك بما تحب اصبر له على ما يجب فيك ألم تسمع قوله تعالى أو لما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها فسلاهم الحق فيما أصيبوا بما أصابوا هذا فى العطايا السابقة وقد يقترن بالبلايا فى حين ورودها ما يخففها على العباد المقربين من ذلك ان يكشف لهم عن عظيم الاجر الذى ادخره لهم فى تلك البلية ومنها ما ينزله على قلوبهم من التثبيت والسكينة ومنها ما يورده عليهم من دقائق اللطف وتنزلات المنن حتى كان بعض الصحابة رضى الله عنهم يقول فى مرضه اشدد حنقك وحتى قال بعض العارفين لقد مرضت مرضة فاحببت أن لا تزول لما ورد على فيها من امداد الله تعالى وانكشف فيها من وجود غيبه والكلام فى سبب ذلك موضع غير هذا *(الرابع)* وهو انما يقويهم على حمل أقداره شهود حسن اختياره وذلك أن العبد اذا شهد حسن اختيار الله تعالى له علم أن الحق سبحانه لا يقصد ألم عبده لانه به رحيم وكان بالمؤمنين رحيما وقد رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم امرأة معها ولدها فقال أترون هذه طارحة ولدها فى النار قالوا لا يا رسول الله فقال صلى الله عليه وسلم الله أرحم بعبده المؤمن من هذه بولدها اخبر انه سبحانه وتعالى يقضى عليك بالآلام لما يترتب عليها من الفضل والانعام ألم تسمع قوله تعالى انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب ولو وكل الحق سبحانه العباد الى اختيارهم لحرموا وجود منته ومنعوا الدخول الى جنته فله الحمد على حسن الاختيار ألم تسمع قوله تعالى وعسى أن تكرهوا شيأ وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيأ وهو شر لكم وان الاب المشفق يسوق لابنه الحجام لا لقصد الايلام وكالطبيب الناصح يعالجك بالمراهم الحادة وان كانت مؤلمة لك ولو طاوع اختيارك لبعد الشفاء عليك ومن منع وعلم أن المنع انما هو اشفاق عليه فهذا المنع فى حقه عطاء وكالام المشفقة تمنع ولدها كثرة المأكل خشية التخمة ولذلك قال الشيخ أبو الحسن رحمه الله تعالى اعلم ان الحق سبحانه وتعالى اذا منعك لم يمنعك عن بخل وانما منعك رحمة لك فمنع الله تعالى عطاء ولكن لا يفهم العطاء فى المنع الا صديق وفى كلام أبدنناه

فى غير هذا الكتاب انه يخفف عنك ألم البلايا علمك بأنه سبحانه وتعالى هو المبتلى لك فالذى واجهتك منه الاقدار هو الذى له فيك حسن الاختيار ﴿الخامس﴾ وهو انه انما صبرهم على وجود حكمه علمهم بوجود علمه وذلك أن علم العبد بان الحق سبحانه مطلع عليه فيما أبلاه يخفف عنه اعباء البلايا ألم تسمع قوله تعالى واصبر لحكم ربك فانك باعيننا أى ماتلقاه يامحمد من كفار قريش من المعاندة والتكذيب فليس يخاف علينا والحكاية المشهورة أن انسانا ضرب تسعة وتسعين سوطا ولم يتأوه فلما ضرب السوط الذى هو تمام المائة تأوه فقيل له فى ذلك فقال كان الذى ضربت من أجله فى الحلقة فى التسعة والتسعين فلما ولى عنى احسست بالالم ﴿السادس﴾ وهو انما صبرهم على أفعاله ظهوره عليهم بوجود جماله وذلك أن الحق سبحانه وتعالى اذا تجلى على عبده فى حين ملاقاته لمر غلبة البلايا احمل حرارتها عنه لما أذاقه من حلاوة التجلى فربما غيبهم ذلك عن الاحساس بالالم ويكفيك فى ذلك قوله تعالى فلما رأينه أكبرنه وقطعن أيديهن ﴿السابع﴾ وهو انما صبرهم على القضا علمهم بان الصبر يورث الرضا وذلك أن من صبر على أحكام الله أورثه ذلك الرضا من الله فتحملوا حرارتها طلبا لرضاه كما يتحسى الدواء المر لما يرجى فيه من عاقبة الشفاء ﴿الثامن﴾ وهو انما صبرهم على الاقدار كشف الحجب والاستار وذلك أن الحق سبحانه وتعالى اذا أراد أن يحمل عن عبد ما يورده عليه كشف الحجاب عن بصيرة قلبه فاراه قربه منه فغيبه أنس القرب عن ادراك المؤلمات ولو أن الحق سبحانه وتعالى تجلى لاهل النار بجماله وكماله لغيبهم ذلك عن ادراك العذاب كما أنه لو احتجب عن أهل الجنة لما طاب لهم النعيم فالعذاب انما هو وجود الحجاب وأنواع العذاب مظاهره والنعيم انما هو بالظهور والتجلى وأنواع النعيم مظاهره ﴿التاسع﴾ وهو انما قواهم على حمل أثقال التكليف ورود أسرار التصريف وذلك لان التكاليف شاقة على العباد ويدخل فى ذلك امتثال الاوامر والانكفاف عن الزواجر والصبر على الاحكام والشكر عند وجود الانعام فهى اذا أربعة طاعة ومعصية ونعمة وبلية وهى أربع لا خامس لها ولله عليك فى كل واحدة من هذه الاربع عبودية يقتضيها منك بحكم الربوبية فحقه عليك فى الطاعة شهود المنة منه عليك فيها وحقه عليك فى المعصية الاستغفار عما ضيعت فيها وحقه عليك فى البلية الصبر معه عليها وحقه عليك فى النعمة وجود الشكر منك فيها ويحمل عنك اعباء ذلك كله الفهم واذا فهمت أن الطاعة راجعة اليك وعائدة بالجدوى عليك صبرك ذلك على القيام بها واذا علمت أن الاصرار على المعصية والدخول فيها يوجب العقوبة من الله آجلا وانكشاف نور الايمان عاجلا كان ذلك سببا لترك منك لها واذا علمت أن الصبر تعود عليك ثمرته وتنعطف عليك بركته سارعت اليه وعولت عليه واذا علمت أن الشكر يتضمن المزيد من الله لقوله تعالى لئن شكرتم لازيدنكم كان ذلك سببا لمثابرتك عليه ونهوضك اليه وسنبسط الكلام على هذه الاربع فى آخر الكتاب ونفرد لها فصلا ان شاء الله تعالى ﴿العاشر﴾ وهو انما صبرهم على أقداره علمهم بما أودع فيها من لطفه وابراره وذلك أن المكاره أودع الحق تعالى فيها وجود الالطاف ألم تسمع قوله تعالى وعسى أن تكرهوا شيأ وهو خير لكم وقوله عليه السلام حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات وفى البلايا والأسقام والفاقات من أسرار الالطاف

مالا

مالا يفهمه الا أولوا البصائر ألم تر أن البلايا تخمد النفس وتذلها وتدهشها عن طلب حظوظها ويقع مع البلايا وجود الذلة ومع الذلة تكون النصرة ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة ولبسط القول في ذلك يخرجنا عن قصد الكتاب ﴿ ادعطاف ﴾ لنرجع الآن الى الآية وهي قوله سبحانه وتعالى فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما * اعلم أن الاحوال ثلاثة قبل التحكيم وفيه وبعده فما قبل التحكيم فعبوديتهم التحكيم وأما في الحكم وبعده فعبوديتهم عدم وجدان الحرج في أمورهم * فان قلت ان ذلك لازم من قوله تعالى حتى يحكموك قيل ليس كل من حكم فقد الحرج عنه اذ قد يحكم ظاهرا والكراهة عنده موجودة فلابد ان ينضم الى التحكيم فقدان الحرج ووجود التسليم فان قال القائل اذا لم يجدوا الحرج فقد سلموا تسليما فما فائدة الاتيان بقوله ويسلموا تسليما بعد نفي الحرج المستلزم لقبول التسليم الذي من صفته وجود التأكيد فالجواب عنه أن قوله تعالى ويسلموا تسليما أي في جميع أمورهم * فان قلت ان ذلك لازم من قوله حتى يحكموك فالجواب أن التحكيم ما أطلقه بل قيده بقوله تعالى فيما شجر بينهم فصارت الآية تتضمن ثلاثة أمور أحدها التحكيم فيما اختلفوا فيه والثاني عدم وجدان الحرج في التحكيم والثالث وجود التسليم المطلق فيما شجر بينهم وفيما نزل بينهم في أنفسهم فهو عام بعد خاص فافهم * الآية الثانية وهي قوله تعالى وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة سبحان الله وتعالى عما يشركون تتضمن فوائد * الفائدة الاولى قوله تعالى وربك يخلق ما يشاء ويختار يتضمن ذلك الالزام للعبد بترك التدبير مع الله لانه اذا كان يخلق ما يشاء فهو يدبر ما يشاء فمن لا خلق له لا تدبير له أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون ويتضمن قوله ويختار انفراده بالاختيار وأن أفعاله ليست على الالجاء والاضطرار بل هو على نعت الارادة والاختيار وفي ذلك الزام للعبد باسقاط التدبير والاختيار مع الله تعالى اذ ما هو له لا ينبغي أن يكون لك وقوله ما كان لهم الخيرة يحتمل الوجهين أحدهما لا ينبغي أن تكون الخيرة لهم وأن يكونوا أولى بها منه سبحانه وتعالى ما كان لهم الخيرة أي ما أعطيناهم ذلك ولا جعلناهم أولى بما هو لك وقوله سبحان الله وتعالى عما يشركون أي تنزيها لله أن يكون لهم الخيرة معه وبينت الآية أن من ادعى الاختيار مع الله فهو مشرك مدعي الربوبية بلسان حاله وان تبرأ من ذلك بمقاله * الآية الثالثة وهي قوله تعالى أم للانسان ما تمنى فلله الآخرة والاولى فيها دلالة على اسقاط التدبير مع الله بقوله أم للانسان ما تمنى أي لا يكون ولا ينبغي له لانا ما جعلنا له وأكذلك بقوله فلله الآخرة والاولى ففي ذلك أيضا الزام العبد ترك التدبير مع الله تعالى أي اذا كان لله الآخرة والاولى فليس فيهما للانسان شئ فلا ينبغي له التدبير في ملك غيره وانما ينبغي أن يدبر في الدارين من هو مالكهما وهو الله سبحانه وتعالى * وقوله صلى الله عليه وسلم ذاق طعم الايمان من رضي بالله ربا فيه دليل على ان من لم يكن كذلك لا يجد حلاوة الايمان ولا يدرك مذاقه وانما يكون ايمانه صورة لا روح فيها وظاهرا لا باطن له ورسما لا حقيقة تحته وفيه اشارة الى أن القلوب السليمة من امراض الغفلة والهوى تتنعم بملذوذات المعاني كما تتنعم النفوس بملذوذات الاطعمة وانما ذاق طعم الايمان من رضي بالله ربا لانه لما رضي بالله ربا استسلم له وانقاد لحكمه وألقى قياده اليه خارجا عن تدبيره واختياره الى حسن

تدبيره لله واختياره فوجد لذاذة العيش وراحة التفويض ولما رضي بالله ربا كان له الرضا من الله
كما قال الله تعالى رضي الله عنهم ورضوا عنه واذا كان له الرضا من الله أوجده الله حلاوة ذلك
ليعلم ما من به عليه وليعلم احسان الله اليه ولا يكون الرضا بالله الا مع الفهم ولا يكون الفهم الا
مع النور ولا يكون النور الا مع الدنو ولا يكون الدنو الا مع العناية فلما سبقت لهذا العبد
العناية خرجت له العطايا من خزائن المنن فلما واصلته أمداد الله وأنواره عوفي قلبه من
الامراض والاسقام فكان سليم الادراك فادرك لذاذة الايمان وحلاوته لصحة ادراكه وسلامة
ذوقه ولو سقم قلبه بالغفلة عن الله لم يدرك ذلك لان المحموم ربما وجد طعم السكر مرا وليس هو
في نفس الامر كذلك فاذا زالت أسقام القلوب أدركت الاشياء على ما هي عليه فتدرك حلاوة
الايمان ولذاذة الطاعة ومرارة القطيعة والمخالفة فيوجب ادراكها الحلاوة الايمان
اغتباطها به وشهود المنة من الله عليها فيه وتطلب الاسباب الحافظة للايمان والجالبة له
ويوجب ادراك لذاذة الطاعة المداومة عليها وشهود المنة من الله فيها ويوجب ادراكها
لمرارة الكفران والمخالفة الترك لهما والنفور عنهما وعدم الميل اليهما فيحمل على الترك
للذنب وعدم التطلع اليه وليس كل متطلع تاركا ولا كل تارك غير متطلع وانما كان كذلك لان نور
البصيرة دال على ان المخالفة لله والغفلة عنه سم للقلوب مهلك فتنفر قلوب المؤمنين عن مخالفة
الله تعالى كنفرتك عن الطعام المسموم وقوله صلى الله عليه وسلم وبالاسلام دينا لانه اذا رضي
بالاسلام دينا فقد رضي بما رضي به المولى واختاره لقوله تعالى ان الدين عند الله الاسلام ولقوله
تعالى ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه ولقوله ان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا
وأنتم مسلمون واذا رضي بالاسلام دينا فمن لازم ذلك امتثال الاوامر والانكفاف عن وجود
الزواجر والامر بالمعروف والنهي عن المنكر والغيرة اذا رأى ملحدا ايجادل ان يدخل فيه ما ليس
منه فيدمغه ببرهانه ويقمعه بتبيانه وقوله صلى الله عليه وسلم وبمحمد نبيا فلازم من رضي
بمحمد نبيا أن يكون له وليا وأن يتأدب بآدابه وأن يتخلق باخلاقه زهدا في الدنيا وخروجا عنها
وصفحا عن الجناة وعفوا عمن أساء اليه الى غير ذلك من تحقق المتابعة قولا وفعلا وأخذا وتركا
وحبا وبغضا وظاهرا وباطنا فمن رضي بالله استسلم له ومن رضي بالاسلام عمل له ومن رضي بمحمد
صلى الله عليه وسلم تابعه ولا تكون واحدة منها الا بكلها اذ محال أن يرضى بالله ربا ولا
يرضى بالاسلام دينا أو يرضى بالاسلام دينا ولا يرضى بمحمد نبيا وتلازم ذلك بين لا خفاء فيه واذ قد
تبين هذا فاعلم أن مقامات اليقين تسعة وهي التوبة والزهد والصبر والشكر والخوف والرضا
والرجاء والتوكل والمحبة ولا يصح كل واحدة من هذه المقامات الا باسقاط التدبير مع الله
والاختيار وذلك أن التائب كما يجب عليه أن يتوب من ذنبه كذا يجب عليه أن يتوب من
التدبير مع ربه لان التدبير والاختيار من كبائر القلوب والاسرار والتوبة هي الرجوع الى الله
تعالى من كل ما لا يرضاه لك والتدبير لا يرضاه لك لانه شرك بالربوبية وكفر لنعمة العقل ولا
يرضى لعباده الكفر وكيف يصح توبة عبد مهموم بتدبير دنياه غافل عن حسن رعاية مولاه
وكذلك لا يصح الزهد الا بالخروج عن التدبير لان مما أنت مخاطب بالخروج عنه والزهد فيه
تدبيرك اذ الزهد زهدان زهد ظاهر جلي وزهد باطن خفي فالظاهر الجلي الزهد في فضول

الحلال من المأكولات والملبوسات وغير ذلك والزهد الخفي الزهد في الرياسة وحب الظهور ومنه الزهد في التدبير مع الله وكذلك لا يصح صبر ولا شكر الا باسقاط التدبير وذلك لان الصابر من صبر عما لا يحبه الله وعما لا يحبه الله تعالى التدبير معه والاختيار لان الصبر على أقسام صبر عن المحرمات وصبر عن الواجبات وصبر عن التدبيرات والاختيارات وان شئت قلت صبر عن الحظوظ البشرية وصبر على لوازم العبودية ومن لوازم العبودية اسقاط التدبير مع الله تعالى وكذلك لا يصح الشكر الا لعبد ترك التدبير مع الله لان الشكر كما قال الجنيد رحمه الله تعالى الشكر أن لا تعصي الله بنعمه ولولا العقل الذي ميزك الله به على أشكالك وجعله سببا لكمالك لم تكن من المدبرين معه اذ الجمادات والحيوانات لا تدبير لها مع الله لفقدان العقل الذي من شأنه النظر الى العواقب والاهتمام بها وينافض أيضا مقام الخوف والرجاء اذ الخوف اذا توجهت سطواته الى القلوب منعها أن تتروح الى وجود التدبير والرجاء أيضا كذلك اذ الراجي قد امتلأ قلبه فرحا بالله ووقته مشغول بمعاملة الله تعالى فأي وقت يسعه التدبير مع الله تعالى وينافض أيضا مقام التوكل وذلك أن المتوكل على الله من ألقى قياده اليه واعتمد في كل أموره عليه فمن لازم ذلك عدم التدبير والاستسلام لجريان المقادير وتعلق اسقاط التدبير بمقام التوكل والرضا أبين من تعلقه بسائر المقامات وينافض أيضا مقام المحبة اذ المحب مستغرق في حب محبوبه وترك الارادة معه هي عين مطلوبه وليس يتسع وقت المحب للتدبير مع الله لانه قد شغله عن ذلك حبه لله ولذلك قال بعضهم من ذاق شيئا من خالص محبة الله الهاه ذلك عما سواه وينافض أيضا مقام الرضا وهو بين لا اشكال فيه وذلك أن الراضي قد اكتفى بسابق تدبير الله فيه فكيف يكون مدبرا معه وهو قد رضي بتدبيره ألم تعلم ان نور الرضا يغسل من القلوب غثاء التدبير فالراضي عن الله بسطه نور الرضا بالاحكام فليس له تدبير مع الله وكفى بالعبد حسن اختيار سيده له فافهم

﴿فصل﴾ اعلم أن الذي يحملك على اسقاط التدبير مع الله والاختيار أمور * الاول علمك بسابق تدبير الله فيك وذلك أن تعلم أن الله كان لك قبل أن تكون لنفسك فكما كان لك مدبرا قبل أن تكون ولا شيء من تدبيرك معه كذلك هو سبحانه وتعالى مدبر لك بعد وجودك فكن له كما كنت له يكن لك كما كان لك ولذلك قال الحسين الحلاج كن لي كما كنت لي في حين لم أكن فسأل من الله أن يكون له بالتدبير بعد وجوده كما كان له بالتدبير قبل وجوده لانه قبل وجود العبد كان العبد مدبرا بعلم الله وليس هنالك للعبد وجود فتقع الدعوى منه لتدبير نفسه فيقع الخذلان لاجل ذلك فان قلت فانه في حين لم يكن عدم فكيف يتعلق التدبير بمعدوم فاعلم أن للاشياء وجودا في علم الله وان لم يكن لها وجود في أعيانها فالحق سبحانه وتعالى يتولى تدبيرها من حيث انها موجودة في علمه وفي هذه المسئلة غور عظيم ليس هذا الموضع محلا لبسطه ﴿بيان واعلام﴾ اعلم أن الحق سبحانه وتعالى تولاك بتدبيره على جميع أطوارك وقام لك في كل ذلك بوجود ابرازك فقام لك بحسن التدبير يوم المقادير يوم ألست بربكم قالوا بلى ومن حسن تدبيره لك حينئذ أن عرفك به فعرفته وتجلى لك فشهدته واستنطقك وألهمك الاقرار بربوبيته فوجدته ثم انه جعلك نطفة مستودعة في الاصلاب وتولاك بتدبيره هنالك حافظا لك وحافظا

لما أنت فيه مواصلا لك المدد بواسطة من أنت فيه من الآباء الى أبيك آدم ثم قذفك في رحم
الام فتولاك بحسن التدبير حينئذ وجعل الرحم قابلة لك أرضا يكون فيها نباتك ومستودعا
تعطى فيها حياتك ثم جمع بين النطفتين وألف بينهما فكنت عنهما لما بنيت عليه الحكمة
الالهية من أن الوجود كله مبنى على سر الازدواج ثم جعلك بعد النطفة علقة مهيأة لما يريد
سبحانه وتعالى أن ينقلها اليه ثم بعد العلقة مضغة ثم فتق سبحانه وتعالى في المضغة صورتك وأقام
بنيتك ثم نفخ فيك الروح بعد ذلك ثم غذاك بدم الحيض في رحم الام فاجرى عليك رزقه من قبل
أن تخرج الى الوجود ثم أبقاك في رحم الام حتى قويت أعضاؤك واشتدت أركانك ليهيئك
الى البروز الى ما قسم لك أو عليك وليبرزك الى دار يتعرف فيها بفضله وعدله اليك ثم لما أنزلك
الى الأرض علم سبحانه وتعالى انك لا تستطيع تناول خشونات الطعام وليس لك أسنان ولا
ارحاء تستعين بها على ما أنت طاعم فأجرى لك الثديين بالغذاء اللطيف ووكل بهما مستحثة الرحمة
في قلب الام كلما وقف اللبن عن البروز استحثته الرحمة التي جعلها لك في الام مستحثة لا يفتر
ومستنهضا لا يقصر ثم انه شغل الاب والام بتحصيل مصالحك والرأفة عليك والنظر بعين المودة
منهما اليك وما هي الا رأفة ساقها اليك والى العباد في مظاهر الآباء والامهات تعريفا بالوداد
وفي حقيقة الامر ما كفلك الا ربوبيته وما حضنك الا الاهيته ثم ألزم الاب القيام بك الى حين
البلوغ وأوجب عليه ذلك رأفة منه بك ثم رفع قلم التكليف عنك الى أوان تكمل الافهام
وذلك عند الاحتلام ثم الى أن صرت كهلا لم يقطع عنك نولا ولا فضلا ثم اذا انتهيت الى
الشيخوخة ثم اذا قدمت عليه ثم اذا حشرت اليه ثم اذا أقامك بين يديه ثم اذا سلمك من عقابه ثم اذا
أدخلك دار ثوابه ثم اذا كشف عنك وجود حجابه وأجلسك مجلس أوليائه وأحبابه قال سبحانه
وتعالى ان المتقين في جنات ونهر في مقعد صدق عند مليك مقتدر فلاي احسانه تشكر واي
آلائه وأياديه تذكر وسمع قوله تعالى وما بكم من نعمة فمن الله فعلم انك لم تخرج وان تخرج
عن احسانه ولن يعدوك وجود فضله وامتنانه وان أردت البيان في تقلبات أطوارك فاسمع
ما قاله سبحانه وتعالى ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ثم
خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه
خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين ثم انكم بعد ذلك لميتون ثم انكم يوم القيامة
تبعثون تبدو لك بوارقها وتبسط عليك شوارقها وفي ذلك ما يلزمك أيها العبد الاستسلام
اليه والتوكل عليه ويضطرك الى اسقاط التدبير وعدم منازعة المقادير والله الموفق
﴿الثاني﴾ ان تعلم ان تدبيرك لنفسك جهل منك بحسن النظر لها فان المؤمن قد علم انه
اذا ترك التدبير مع الله كان له بحسن التدبير منه لقوله تعالى ومن يتوكل على الله فهو حسبه
فصار التدبير في اسقاط التدبير والنظر للنفس ترك النظر لها فافهم ههنا قوله تعالى وأتوا
البيوت من أبوابها فباب التدبير من الله لك هو اسقاط التدبير منك لنفسك ﴿الثالث﴾
علمك بأن القدر لا يجرى على حسب تدبيرك بل أكثر ما يكون ما لا تدبر وأقل ما يكون ما أنت له
مدبر والعاقل لا يبنى بناء على غير قرار لئن تتم مبانيك والاقدار تهدمها وعن التمام تصدها
شعر متى يبلغ البنيان يوما تمامه * اذا كنت تبنيه وغيرك يهدم

واذا

وإذا كان التدبير منك والقدر يجري على خلاف ما تدبره فما فائدة تدبير لا تنصره الأقدار وإنما ينبغي أن يكون التدبير لمن بيده أزمة المقادير ولذلك قيل شعر

ولما رأيت القضا جاريا * بلا شك فيه ولا مرية
توكلت حقا على خالقي * وألقيت نفسي مع الجرية

(الرابع) علمك بأن الله تعالى هو المتولي لتدبير مملكته علوها وسفلها غيبها وشهادتها وكما سلمت له تدبيره في عرشه وكرسيه وسمواته وأرضه فسلم له تدبيره في وجودك إلى هذه العوالم فإن نسبة وجودك إلى هذه العوالم نسبة توجب تلاشيك كان نسبة السموات السبع والأرضين السبع بالنسبة إلى الكرسي كحلقة ملقاة في فلاة من الأرض والكرسي والسموات السبع والأرضون السبع بالنسبة إلى العرش كالحلقة الملقاة في فلاة من الأرض فماذا عسى أن تكون أنت في مملكته فاهتمامك بأمر نفسك وتدبيرك لها جهل منك بالله بل الأمر كما قال سبحانه وما قدروا الله حق قدره فلو أن العبد عرف ربه لاستحى أن يدبر معه ولا قذف بك في بحر التدبير إلا حجبتك عن الله لأن الموقنين لما كشف عن بصائر قلوبهم شهدوا أنفسهم مدبرين لا مدبرين ومصرفين لا متصرفين ومحركين لا متحركين وكذلك عمار الصفيح الأعلى مشاهدون لظهور القدرة ونفوذ الإرادة وتعلق القدرة بمقدورها والإرادة بمرادها والأسباب معزولة في مشهدهم فلذلك طهروا من الدعوى لما هم عليه من وجود المعاينة وثبوت المواجهة فلذلك قال سبحانه إنا نحن نرث الأرض ومن عليها وإلينا يرجعون ففي هذا تزكية للملائكة وإشارة إلى أنهم لم يكونوا مع الله مدعين لما خولهم ولا منتسبين لما نسب إليهم إذ لو كان كذلك لقال إنا نحن نرث الأرض والسماء بل نسبتهم إليه وهيبتهم وولههم له من عظمته منعهم أن يركنوا الشيء دونه فكما سلمت لله تدبيره في سمائه وأرضه فسلم له تدبيره في وجودك لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس (الخامس) علمك بأنك ملك لله وليس لك تدبير ما هو لغيرك فما ليس لك في ملكه ليس لك تدبيره وإذا كنت أيها العبد لا تنازع فيما تملك ولا ملك لك إلا تمليكه إياك وليس لك ملك حقيقي وإنما هي نسبة شرعية أوجبت الملك لك من غير شيء قائم بوصفك تستوجب به أن تكون مالكا فأن لا تنازع الله فيما يملكه أولى وأحرى لا سيما وقد قال سبحانه وتعالى إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة فلا ينبغي لعبد بعد المبايعة تدبير ولا منازعة لأن ما بعته وجب عليك تسليمه وعدم المنازعة فيه فالتدبير فيه نقض لعقد المبايعة * ودخلت على الشيخ أبي العباس المرسي رحمه الله يوما فشكوت إليه بعض أمري فقال إن كانت نفسك لك فاصنع بها ما شئت ولن تستطيع ذلك أبدا وإن كانت لبارئها فسلمها له يصنع بها ما شاء ثم قال الراحة في الاستسلام إلى الله وترك التدبير معه وهو العبودية * قال إبراهيم بن أدهم رحمه الله نمت ليلة عن وردي فاستيقظت فندمت فنمت بعد ذلك ثلاثة أيام عن الفرائض فلما استيقظت سمعت هاتفا يقول شعرا

كل شيء لك مغفور * سوى الإعراض عنا قد غفرنا لك ما فا * ت بقي ما فات منا

ثم قيل لي يا إبراهيم كن عبدا فكنت عبدا فاسترحت (السادس) علمك بأنك في ضيافة الله لأن الدنيا دار الله وأنت نازل فيها عليه ومن حق الضيف أن لا يعول هما مع رب المنزل * قيل

للشيخ أبي مدين رحمه الله يا سيدي ما للنا نرى المشايخ يدخلون في الاسباب وأنت لا تدخل فيها فقال يا أخي انصفونا الدنيا دار الله ونحن فيها ضيوفه وقد قال عليه السلام الضيافة ثلاثة أيام فلنا عند الله ثلاثة أيام ضيافة وقد قال تعالى وان يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون فلنا عند الله ثلاثة آلاف سنة ضيافة مدة اقامتنا في الدنيا منها وهو مكمل ذلك بفضله في الدار الآخرة وزائد على ذلك الخلود الدائم ﴿السابع﴾ نظر العبد الى قيومية الله تعالى في كل شئ ألم تسمع قوله تعالى الله لا اله الا هو الحي القيوم فهو سبحانه وتعالى قيوم الدنيا والآخرة قيوم الدنيا بالرزق والعطاء والآخرة بالاجر والجزاء فاذا علم العبد قيومية ربه به وقيامه عليه ألقى قياده اليه وانطرح بالاستسلام بين يديه فالقى نفسه بين يدي ربه مسلما ناظرا لما يرد عليه من الله حكما ﴿الثامن﴾ هو اشتغال العبد بوظائف العبودية التي هي مغياة بالعمر لقوله واعبد ربك حتى يأتيك اليقين فاذا توجهت همته الى رعاية عبوديته شغله ذلك عن التدبير لنفسه والاهتمام لها قال الشيخ أبو الحسن رحمه الله تعالى اعلم أن لله تعالى عليك في كل وقت سهما في العبودية يقتضيه الحق سبحانه وتعالى منك بحكم الربوبية والعبد مطالب بذلك كله ومسؤل عنه وعن أنفاسه التي هي أمانة الحق عنده فاين الفراغ لاولي البصائر من حقوق الله حتى يكنهم التدبير لانفسهم والنظر في مصالحها باعتبار حظوظها ومآربها ولا يصل أحد الى منة الله الا بغيبته عن نفسه وزهده فيها مصروفة همته الى محاب الله تعالى متوفرة دواعيه على موافقته دائبا على خدمته ومعاملته فبحسب غيبتك عن نفسك فناء عنها يبقيك الله به لذلك قال الشيخ أبو الحسن أيها السابق الى سبيل نجاته الشائق الى حضرة جنابه اقلل النظر الى ظاهرك ان أردت فتح باطنك لاسرار ملكوت ربك ﴿التاسع﴾ وهو انك عبد مربوب وحق العبد أن لا يعول هما مع سيده مع اتصافه بالافضال وعدم الاهمال فان روح مقام العبودية الثقة بالله والاستسلام الى الله تعالى وكل واحد منهما يناقض التدبير مع الله تعالى والاختيار معه بل على العبد ان يقوم بخدمته والسيد يقوم له بقسمته وعلى العبد القيام بالخدمة والسيد يقوم له بوجود القسمة فافهم قوله تعالى وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسألك رزقا نحن نرزقك أي قم بخدمتنا ونحن نقوم لك بايصال قسمتنا ﴿العاشر﴾ عدم علمك بعواقب الامور فربما دبرت أمرا ظننت أنه لك فكان عليك وربما أتت الفوائد من وجوه الشدائد والشدائد من وجوه الفوائد والاضرار من وجوه المسار والمسار من وجوه الاضرار وربما كمنت المنن في المحن والمحن في المنن وربما انتفعت على أيدي الاعداء وأوذيت على أيدي الاحباب فاذا كان الامر كذلك فكيف يمكن عاقلا ان يدبر مع الله ولا يدري المسار فيأتيها ولا المضار فيتقيها ولذلك قال الشيخ أبو الحسن رحمه الله اللهم انا قد عجزنا عن دفع الضر عن أنفسنا من حيث نعلم بما نعلم فكيف لا نعجز عن ذلك من حيث لا نعلم بما لا نعلم ويكفيك قوله تعالى وعسى أن تكرهوا شيأ وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيأ وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون وكم مرة أردت أيها العبد أمرا فصرفه عنك فوجدت لذلك غما في قلبك وحرجا في نفسك حتى اذا كشف لك عن عاقبة ذلك علمت انه سبحانه نظر لك بحسن النظر من حيث لا تدري وحاط لك من حيث لا تعلم وما أقبح مريدا لا فهم له وعبدا لا استسلام له فكن كما قيل

وكم رمت أمراً خرت لي في انصرافه * فلا زلت بي مني أبر وأرحما
عزمت على أن لا أحس بخاطر * على القلب إلا كنت أنت المقدما
وأن لا تراني عندما قد نهيتني * لكونك في قلبي كبيراً معظما

(ويحكى) أن بعضهم كان إذا أصيب بشيء أو ابتلى به يقول خيرة فاتفق ليلة أن جاء ذئب فأكل ديكاله فقيل له به فقال خيرة ثم ضرب في تلك الليلة كلبه فمات فقيل له فقال خيرة ثم نهق حماره فمات فقال خيرة فضاق أهله بكلامه هذا ذرعاً فاتفق أن نزل بهم في تلك الليلة عرب أغاروا عليهم فقتلوا كل من بالمحلة ولم يسلم غيره وأهل بيته استدل العرب النازلون على الناس بصياح الديك ونباح الكلب ونهيق الحمير وهو قد مات له كل ذلك فكان هلاك هذه الأشياء سبباً لنجاته فسبحان المدبر الحكيم وإن العبد لا يشهد حسن تدبير الله إلا إذا انكشفت له العواقب وليس هذا من مقام أهل الخصوص في شيء لأن أهل الفهم عن الله شهدوا حسن تدبير الله قبل أن تنكشف لهم العواقب وهم في ذلك على أقسام ومراتب فمنهم من حسن ظنه بالله فاستسلم له لما عوده من جميل صنعه ووجود لطفه * ومنهم من حسن ظنه بالله علماً منه أن الاهتمام والتدبير والمنازعة لا تدفع عنه ما قدر عليه ولا تجلب له ما لم يقسم له * ومنهم من حسن الظن بالله تعالى لقوله عليه السلام حاكياً عن ربه أنا عند ظن عبدي بي فكان متعاطياً بحسن الظن بالله وأسبابه رجاء أن يعامل بمثل ذلك فيكون الله له عند ظنه ولقد يسر الله للمؤمنين سبيل المن إذ كان عند ظنونهم يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر * وأرفع من هذه المراتب كلها الاستسلام إلى الله تعالى والتفويض له بما يستحقه الحق من ذلك لا لأمر يعود على العبد فإن المراتب الأول لم تخرج العبد عن رق العلل إذ من استسلم له بحسن عوائده فاستسلامه معلول بعوائد الألطاف السابقة فلو لم تكن لم يكن استسلامه والثاني أيضاً كذلك لأن ترك التدبير مع الله لكونه لا يجدي شيئاً ليس هو تركاً لأجل الله لأن هذا العبد لو علم أن تدبيره يجدي شيئاً فلعله كان غير تارك التدبير وأما الذي استسلم إلى الله تعالى وحسن ظنه به ليكون له عند ظنه فهو إنما يسعى في حظ نفسه مشفقاً عليها أن يفوتها الفضل بعدوله عن الاستسلام وحسن الظن بالله ومن استسلم إلى الله وحسن ظنه به لما هو عليه من عظمة الإلاهية ونعوت الربوبية فهذا هو العبد الذي دل على حقيقة الأمر وحري أن يكون هذا من الذين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم إن لله عباداً التسبيحة الواحدة منهم مثل جبل أحد ولقد عاهد الله سبحانه وتعالى العباد أجمع على إسقاط التدبير معه بقوله تعالى وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى لأن إقرارهم بأنه ربهم يستلزم ذلك إسقاط التدبير معه فهذه معاقدة كانت قبل أن تكون النفس التي هي محل الاضطراب المدبرة مع الله تعالى ولو بقي العبد على تلك الحالة الأولى التي هي كشف الغطاء ووجود الحضرة لما أمكنه أن يدبر مع الله فلما أسدل الحجاب وقع التدبير والاضطراب فلأجل ذلك أهل المعرفة بالله المشاهدون لأسرار الملكوت لا تدبير لهم مع الله إذ وجود المواجهة أبى لهم ذلك وفسخ عزائم تدبيرهم وكيف يدبر مع الله عبد هو في حضرته ومشاهد لكبرياء عظمته *(فائدة)* اعلم أن التدبير والاختيار وباله عظيم وخطره جسيم وذلك أنا نظرنا فوجدنا أن آدم عليه السلام إنما

حمله على أكل الشجرة تدبيره لنفسه وذلك ان الشيطان قال لآدم وحواء عليهما السلام كما قال الله تعالى وقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين ففكر آدم عليه السلام في نفسه فعلم ان الخلود في جوار الحبيب هو المطلوب الاسنى وانتقاله من الآدمية الى وصف الملكية اما أن يكون لان وصف الملكية أفضل أو ظن آدم عليه السلام ان ذلك أفضل فلما دبر عليه السلام في نفسه هذا التدبير أكل من الشجرة لما أتى الا من عين وجود التدبير وكان مراد الحق منه ذلك لينزله الى الارض و يستخلفه فيها فكان هبوطا في الصورة وترقيا في المعنى ولذلك قال الشيخ أبو الحسن رحمه الله والله ما أنزل الله آدم الى الارض لينقصه وانما أنزله الى الارض ليكمله فلم يزل آدم عليه السلام راقيا الى الله تعالى تارة على معراج التقريب والتخصيص وتارة على معراج الذلة والمسكنة وهو في التحقيق أتم * ويجب على كل مؤمن أن يعتقد ان النبي والرسول لا ينتقلان من حالة الا الى حالة أكمل منها وافهم هينا قوله سبحانه وتعالى وللآخرة خير لك من الاولى قال ابن عطية والحالة الثانية خير لك من الاولى وإذ قد عرفت هذا فاعلم أن الحق سبحانه وتعالى له التدبير والمشيئة وكان قد سبق من تدبيره مشيئته انه لا بد ان يعمر الارض ببني آدم وان يكون منهم كما شاء منهم محسن وظالم لنفسه مبين وكان من تدبير حكمته انه لا بد من تمام ذلك وظهوره الى عالم الشهادة فاراد الحق سبحانه أن يكون تناول آدم للشجرة سببا لنزوله الى الارض ونزوله الى الارض سببا لظهور مرتبة الخلافة التي من عليه بها ولذلك قال الشيخ أبو الحسن رضي الله عنه أكرم بها معصية أورثت الخلافة وسنت التوبة لمن بعده الى يوم القيامة وكان نزوله الى الارض بحكم قضاء الله تعالى قبل أن يخلق السموات والارض ولذلك قال الشيخ أبو الحسن رضي الله عنه والله لقد أنزل الله آدم الى الارض قبل ان يخلقه كما قال سبحانه اني جاعل في الارض خليفة فمن حسن تدبير الله تعالى لآدم أكله من الشجرة ونزوله الى الارض واكرام الله تعالى اياه بالخلافة والامامة وإذ قد انتهى بنا المقال الى هذا فلنتتبع الفوائد والخصائص التي منحها آدم عليه السلام في هذه الواقعة لتعلم ان لاهل الخصوص مع الله حالا ليست لمن سواهم ولله فيهم تدبير لا يتوجه به لما عداهم ففي أكل آدم من الشجرة ونزوله الى الارض فوائد * منها ان آدم وحواء عليهما السلام كانا في الجنة متعرفا اليهما بالرزق والعطاء والاحسان والنعماء فاراد الحق سبحانه وتعالى من خفي لطفه في تدبيره ان يأكلا من الشجرة ليتعرف لهما بالحلم والستر والمغفرة والتوبة والاجتبائية اما الحلم فلانه لم يعاجلهما بالعقوبة حين فعلا والحليم هو الذي لا يعاجل بالعقوبة على ما صنعت بل يمهلك اما الى عفوه وانعامه وأما الى سطوته وانتقامه (الثاني) هو ان الله سبحانه وتعالى تعرف لهما بالستر وذلك انهما لما أكلا منها وبدت لهما سوآتهما بزوال ملابس الجنة سترهما بورقها كما قال الله تعالى وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة فكان ذلك من وجود ستره (الثالث) هو أنه أراد الحق سبحانه وتعالى ان يعلمه باجتبائيته و ينشأ عن اجتبائيته مقامات التوبة اليه والهداية من عنده فاراد الحق سبحانه أن يعرف آدم عليه السلام باجتبائيته له وسابق عنايته فيه فقضى عليه بأكل الشجرة ثم لم يجعل أكله اياها سببا لاعراضه عنه ولا لقطع مدده منه بل كان في ذلك اظهار لوده سبحانه وتعالى فيه وعنايته

به كما قالوا من سبقت له العناية لم تضره الجناية وربما ورد تقطعه المخالفة والود الحقيقي هو الذى يدوم لك من الوداد مواقفا كنت أو مخالفا وليس فى قوله تعالى ثم اجتباه ربه دليل على حدوث اجتبائية الحق فيه بل كان قبل وجوده وانما الذى حدث بعد ذنبه ظهور أثر الاجتبائية من الله له فهو الذى قال فيه الحق سبحانه وتعالى ثم اجتباه ربه أى أظهر له أثر الاجتبائية فيه والعناية به بتيسيره للتوبة اليه والهداية من عنده فصار فى قوله تعالى ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى تعريفات ثلاث الاجتبائية والتوبة التى هى نتيجتها والهدى الذى هو نتيجة التوبة فافهم ثم انزله الى الارض فتعرف له بحكمته كما تعرف له فى الجنة بباهرة قدرته وذلك لان الدنيا محل الوسائط والاسباب فلما انزل آدم عليه السلام الى الارض علم الحراثة والزراعة وما يحتاج اليه من أسباب عيشته لحققه الله تعالى بما أعلمه به من قبل ان ينزله بقوله فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى والمراد بقوله تعالى فتشقى تعب الظواهر لا الشقاوة التى هى ضد السعادة والدليل على ذلك قوله تعالى فتشقى ولم يقل فتشقيا لان المتاعب والكلف انما هى على الرجال دون النساء كما قال تعالى الرجال قوامون على النساء بما فضل الله ولو كان المراد شقاء بالقطيعة أو وجود الحجبة لقال فتشقيا فدل الافراد على انه ليس الشقاء هنا بقطيعة ولا ابعاد مع انه لو ورد كذلك لحملناه على الظن الجميل وارجعناه الى المتاعب الظاهرة على التأويل ﴿فائدة جليلة﴾ اعلم ان أكله عليه السلام للشجرة لم يكن عنادا ولا خلافا فاما ان يكون نسى الامر فتعاطى الاكل وهو له غير ذاكر وهو قول بعضهم ويحمل عليه قوله تعالى ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنسى ولم نجد له عزما أو ان كان تناوله ذاكرا للامر فهو انما تناوله لانه قيل له ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين فلحبه فى الله وشغفه به أحب ما يؤديه الى الخلود فى جواره والبقاء عنده أو ما يؤديه الى الملكية لان آدم صلى الله عليه وسلم عاين قرب الملكية من الله فأحب ان يأكل من الشجرة لينال رتبة الملكية التى هى أفضل أو التى هى فى ظنه كذلك على اختلاف أهل العلم وأهل المعرفة أيضا أيهما أفضل الملكية أم النبوة لاسيما وقد قال سبحانه وتعالى وقاسمهما انى لكما لمن الناصحين قال آدم عليه السلام ما ظننت أن أحدا يحلف بالله كاذبا فكان كما قال تعالى فدلاهما بغرور ﴿فائدة﴾ اعلم ان آدم عليه السلام لم يكن اشتهى مما كان يأكله اذى بل كان رشحا كرشح المسك كما يكون أهل الجنة فى الجنة اذا دخلوها لكنه لما أكل من الشجرة المنهى عنها أخذته بطنه فقيل له يا آدم أين على الاسرة أم على الجبال أم على شاطئ الانهار انزل الى الارض التى يمكن ذلك فيها فاذا كان ما به المعصية وصلت اليه آثارها فكيف لا تؤثر المعصية فى الفاعل بها فافهم ﴿تنبيه واعتبار﴾ اعلم ان كل شئ نهى الله عنه فهو شجرة والجنة هى حضرة الله فيقال لآدم قلبك ولحواء نفسك ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين لكن آدم عليه السلام محفوف بالعناية لما أكل من الشجرة انزل الى الارض للخلافة وأنت اذا أكلت من شجرة النهى انزلت الى أرض القطيعة فافهم فان تناولت شجرة النهى أخرجت من جنة الموافقة الى وجود أرض القطيعة فيشقى قلبك وانما لا قى الشقاء وقت القطيعة القلب لا النفس لان وقت القطيعة يكون فيه ملائمات النفوس ومن ملذوذاتها

وشهواتهما أوانهما كما في غزلائها ﴿ترتيب وبيان﴾ اعلم ان الله تعالى تعرف لآدم عليه السلام بالايجاد فناداه ياقدير ثم تعرف له بتخصيص الارادة فناداه يامريد ثم تعرف له بحكمه في نهيه عن أكل الشجرة فناداه ياحاكم ثم قضى عليه بأكلها فناداه ياقاهر ثم لم يعاجله بالعقوبة اذ أكلها فناداه ياحليم ثم لم يفضحه في ذلك فناداه ياستار ثم تاب عليه بعد ذلك فناداه ياتواب ثم أشهده ان أكله من الشجرة لم يقطع عنه وده فيه فناداه ياودود ثم أنزله الى الارض ويسر له أسباب المعيشة فناداه يالطيف ثم قواه على ما اقتضاه منه فناداه يامعين ثم أشهده سر الاكل والنهي والنزول فناداه ياحكيم ثم نصره على العدو والمكائد له فناداه يانصير ثم ساعده على اعباء تكاليف العبودية فناداه يالمهيمن لما أنزله الى الارض الا ليكمل له وجود التصريف ويقيمه بوظائف التكليف فتكملت في آدم عليه السلام العبوديتان عبودية التصريف وعبودية التكليف فعظمت منة الله عليه وتوفر احسانه اليه فافهم ﴿انعطاف﴾ اعلم ان اجل مقام اقيم العبد فيه مقام العبودية وكل المقامات انما هي كالخدمة لهذا المقام والدليل على ان العبودية أشرف مقام قول الله سبحانه وتعالى سبحان الذى أسرى بعبده ليلا وما أنزلنا على عبدنا كهيعص ذكر رحمة ربك عبده زكريا وانه لما قام عبد الله يدعوه ولما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم بين ان يكون نبيا ملكا أونبيا عبدا اختار العبودية لله تعالى ففي ذلك ادل دليل على انها من أفضل المقامات وأعظم القربات وقال صلى الله عليه وسلم انما أنا عبد لا آكل متكئا انما أنا عبد الله آكل كما يأكل العبيد وقال صلى الله عليه وسلم انا سيد ولد آدم ولا فخر * سمعت شيخنا أبا العباس رحمه الله يقول ولا فخر أي لا أفتخر بالسيادة انما الفخر لي بالعبودية لله تعالى ولأجلها كان الايجاد وقال تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون والعبادة ظاهر العبودية والعبودية روحها واذا فهمت هذا فروح العبودية وسرها انما هو ترك الاختيار وعدم منازعة الاقدار فتبين من هذا ان العبودية ترك التدبير والاختيار مع الربوبية فاذا كان لا يتم مقام العبودية الذى هو أشرف المقامات الا بترك التدبير فحقيق على العبد أن يكون له تاركا وللتسليم لله تعالى والتفويض له سالكا ليصل الى المقام الاكمل والمنهج الافضل وسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر رضي الله عنه يقرأ ويخفض صوته وعمر رضي الله عنه يقرأ ويرفع صوته فقال لابي بكر لم خفضت صوتك فقال قد أسمعت من ناجيت وقال لعمر لم رفعت صوتك فقال أوقظ الوسنان وأطرد الشيطان فقال لابي بكر ارفع قليلا وقال لعمر اخفض قليلا فكان شيخنا أبو العباس رحمه الله تعالى يقول ههنا أراد النبي عليه السلام ان يخرج كل واحد منهما عن مراده لنفسه لمراده صلى الله عليه وسلم * (تنبيه) * تفطن رحمك الله لهذا الحديث تعلم منه ان الخروج عن الارادة هي أفضل العبادة لان أبا بكر وعمر رضي الله عنهما كل واحد منهما قد أبان لما سأله رسول الله عليه السلام عن صحة قصده ما وبعد ذلك أخرجهما رسول الله عليه السلام عما أرادا لانفسهما مع صحة قصده الى اختيار رسول الله عليه السلام * (فائدة) * اعلم ان بني اسرائيل لما دخلوا التيه ورزقوا المن والسلوى واختار الله تعالى لهم ذلك رزقا رزقهم اياه يبرز من عين المنة من غير تعب منهم ولا نصب فرجعت نفوسهم الكثيفة لوجود الف العادة

والغيبة

والغيبة عن شهود تدبير الله تعالى الى طلب ما كانوا يعتادونه فقالوا ادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الارض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها قال أتستبدلون الذى هو أدنى بالذى هو خير اهبطوا مصرا فان لكم ما سألتم وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباؤا بغضب من الله وذلك لانهم تركوا ما اختار الله لهم مما يليق لما اختاروه لانفسهم فقيل لهم على طريق التوبيخ لهم أتستبدلون الذى هو أدنى بالذى هو خير اهبطوا مصرا فظاهر التفسير أتستبدلون الفوم والبصل والعدس بالمن والسلوى وليس النوعان سواء فى اللذة ولا فى سقوط المشقة وسر الاعتبار أتستبدلون مرادكم لانفسكم بمراد الله لكم أتستبدلون الذى هو أدنى وهو ما أردتموه بالذى هو خير وهو ما أراد الله لكم اهبطوا مصرا فان ما أنتم اشتهيتموه لا يليق ان يكون الا فى الامصار وفى سر الاعتبار اهبطوا من سماء التفويض وحسن الاختيار والتدبير منا لكم الى أرض التدبير والاختيار منكم لانفسكم موصوفين بالذلة والمسكنة لاختياركم مع الله وتدبيركم لانفسكم مع تدبير الله ولو أن هذه الامة هى الكائنة فى التيه لما قالت مقال بنى اسرائيل لشفوف أنوارهم ونفوذ أسرارهم ألا ترى ان بنى اسرائيل فى ابتداء الامر قالوا لموسى عليه السلام وهو كان سبب التيه لهم اذهب أنت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون وقالوا فى آخره ادع لنا ربك فأبوا فى الاول عن امتثال أمر الله وفى الآخر اختاروا لانفسهم غير ما اختار الله لهم وكثيرا ما تكرر منهم ما يدل على بعدهم عن مصدر الحقيقة وسواء الطريقة فى قولهم أرنا الله جهرة وفى قولهم لموسى عليه السلام بعد ولم ينشف بلل البحر من أقدامهم حين فرق لهم لما مروا على قوم يعكفون على أصنام لهم فقالوا اجعل لنا الها كما لهم آلهة فكانوا كما قال موسى عليه السلام قال انكم قوم تجهلون وكذلك قوله تعالى واذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة وظنوا أنه واقع بهم خذوا ما آتيناكم بقوة وهذه الامة نتق فوق قلوبها جبال الهيبة والعظمة فاخذوا الكتاب بقوة الايمان فثبتوا لذلك وأيدوا لما هنالك وحفظوا من عبادة العجل وغير ذلك لان الله تعالى اختار هذه الامة واختار لها واثنى عليها بقوله كنتم خير أمة أخرجت للناس وقوله تعالى وكذلك جعلناكم أمة وسطا أى عدولا خيارا فقد تبين لك من هذا ان التدبير والاختيار من أشد الذنوب والاوزار فاذا أردت أن يكون لك من الله اختيار فاسقط معه الاختيار وان أردت أن يكون لك حسن التدبير فلا تدع معه وجود التدبير وان أردت الوصول الى المراد فذلك بان لا يكون معه مراد ولذلك لما قيل لابى يزيد ما تريد قال أريد أن لا أريد فلم تكن أمنيته من الله ولا طلبته منه الا سقوط الارادة معه لعلمه انها أفضل الكرامات وأجل القربات وقد يتفق للمخصص الكرامات الظاهرة وبقايا التدبير كامنة فيه فالكرامة الكاملة الحقيقية انما هى ترك التدبير مع الله والتفويض لحكم الله ولذلك قال الشيخ أبو الحسن رحمه الله تعالى انما هما كرامتان جامعتان محيطتان كرامة الايمان لمزيد الايقان وشهود العيان وكرامة العمل على الاقتداء والمتابعة ومجانبة الدعاوى والمخادعة لمن أعطيهما ثم جعل يشتاق الى غيرهما فهو عبد مفتر كذاب أو ذو خطأ بالعلم والعمل بالصواب كمن أكرم بشهود الملك على نعت الرضا فجعل يشتاق الى سياسة الدواب وخلع الرضا وكل كرامة لا يصحبها الرضا من الله تعالى وعن الله فصاحبها مستدرج مغرور أو ناقص أو هالك مثبور * فاعلم

ان الكرامة لا تكون كرامة حتى يصحبها الرضا عن الله ومن لازم الرضا عن الله ترك التدبير معه واسقاط الاختيار بين يديه * واعلم انه قد قال بعضهم ان أبا يزيد رحمه الله لما أراد أن لا يريد فقد أراد وهذا قول من لا معرفة عنده وذلك لان أبا يزيد انما أراد أن لا يريد لان الله تعالى اختار له وللعباد أجمع عدم الارادة معه فهو في ارادته أن لا يريد موافق لارادة الله تعالى له ولذلك قال الشيخ أبو الحسن رحمه الله تعالى وكل مختارات الشرع وترتيباته ليس لك منها شئ واسمع وأطع وهذا موضع الفقه الرباني والعلم اللدني وهو أرض لتنزل علم الحقيقة المأخوذ عن الله لمن استوى فأفاد الشيخ بهذا الكلام ان كل مختار للشرع لا يناقض اختياره مقام العبودية المبني على ترك الاختيار لئلا ينخدع عقل قاصر عن درك الحقيقة بذلك فيظن ان الوظائف والاوراد ورواتب السنن وارادتها يخرج بها العبد عن صريح العبودية لانه قد اختار فبين الشيخ رحمه الله تعالى ان كل مختارات الشرع وترتيباته ليس لك منها شئ وانما أنت مخاطب ان تخرج عن تدبيرك لنفسك واختيارك لها الا عن تدبير الله ورسوله لك فافهم فقد علمت اذا ان أبا يزيد ما أراد أن لا يريد الا لان الله تعالى أراد منه ذلك فلم تخرجه هذه الارادة عن العبودية المقتضاة منه فقد علمت ان الطريق الموصلة الى الله تعالى هي محو الارادة ورفض المشيئة حتى قال الشيخ أبو الحسن رحمه الله تعالى ولن يصل الولي الى الله ومعه تدبير من تدبيراته واختيار من اختياراته وسمعت شيخنا أبا العباس رحمه الله تعالى يقول ولن يصل العبد الى الله تعالى حتى تنقطع عنه شهوة الوصول الى الله تعالى * يريد والله أعلم ان تنقطع عنه انقطاع أدب لا انقطاع ملل أو لانه يشهد اذا قرب ابان وصوله عدم استحقاقه لذلك واستحقاره لنفسه ان يكون أهلا لما هنالك فتنقطع عنه شهوة الوصول لذلك لا مللا ولا سلوا ولا اشتغالا عن الله تعالى بشئ دونه فاذا أردت الاشراق والتنوير فعليك باسقاط التدبير واسلك الى الله كما سلكوا تدرك ما أدركوا اسلك مسالكهم وانهج مناهجهم وألق عصاك في هذا جانب الوادي وانا في هذا المعنى في ابتداء العمر مما كتبت به لبعض اخواني

أيا صاح هذا الركب قد سار مسرعا * ونحن قعود ما الذي أنت صانع
أترضى بان تبقى المخلف بعدهم * صريع الاماني والغرام ينازع
وهذا لسان الكون ينطق جهرة * بان جميع الكائنات قواطع
وان لا يرى وجه السبيل سوى امرئ * رمى بالسوى لم تختدعه المطامع
ومن أبصر الاشياء والحق قبلها * تغيب مصنوعا بمن هو صانع
بواده أنوار لمن كان ذاهبا * وتحقيق اسرار لمن هو راجع
فقم وانظر الاكوان والنور عمها * فجر التداني نحولك اليوم طالع
وكن عبده والق القياد لحكمه * واياك تدبيرا فما هو نافع
أتحكم تدبيرا وغيرك حاكم * أأنت لاحكام الاله تنازع
فمحو ارادة وكل مشيئة * هو الغرض الاقصى فهل أنت سامع
كذلك سار الاولون فأدركوا * على اثرهم فليسر من هو تابع
على نفسه فليبك من كان طالبا * وما لمعت ممن يحب لوامع

على نفسه فليبك من كان باكيا * ايذهب وقت وهو باللهو ضائع

اعلم وفقك الله ان لله عبادا اخرجوا عن التدبير مع الله بتأديبه الذى أدبهم و بتعليمه الذى علمهم فقسمت الانوار عزائم تدبيرهم ودكت المعارف والاسرار جبال اختيارهم فنزلوا منزل الرضا فوجدوا انعم المقام فاستغاثوا بالله واستنصروا به خشية ان يشغلهم حلاوة الرضا فيميلوا اليها بمساكنة أو يحجبوا الها بمراكنة * قال الشيخ أبو الحسن رحمه الله تعالى كنت فى ابتداء أمرى أدبر ما أصنع من الطاعات وأنواع الموافقات فتارة أقول ألزم البرارى والقفار وتارة أقول ارجع الى المدائن والديار لصحبة العلماء والاخيار فوصف لى ولى من أولياء الله بأرض المغرب بجبل هنالك فطلعت اليه فوصلت اليه ليلا فكرهت أن أدخل عليه حينئذ فسمعته يقول اللهم ان قوما سألوك ان تسخر لهم خلقك فأعطيتهم ذلك فرضوا منك بذلك اللهم وانى أسألك اعوجاج الخلق على حتى لا يكون ملجئى الا اليك فقلت يا نفس انظرى من أى بحر يغترف هذا الشيخ فاقمت حتى اذا كان الصباح دخلت عليه فسلمت عليه ثم قلت يا سيدى كيف حالك فقال اشكو الى الله من برد الرضا والتسليم كما تشكو أنت من حر التدبير والاختيار فقلت يا سيدى اما شكواى من حر التدبير والاختيار فقد ذقته وأنا الآن فيه وأما شكواك من برد الرضا والتسليم فلم أفهمه فقال أخاف أن تشغلني حلاوتهما عن الله فقلت يا سيدى سمعتك البارحة تقول اللهم ان قوما سألوك ان تسخر لهم خلقك فاعطيتهم ذلك فرضوا منك بذلك اللهم وانى أسألك اعوجاج الخلق على حتى لا يكون ملجئى الا اليك فتبسم ثم قال يا بنى عوض ما تقول سخر لى خلقك قل يارب كن لى أترى اذا كانوا لك أيفوتك بشئ فما هذا الجبن

(فائدة)

اعلم ان هلاك ابن نوح عليه السلام انما كان لاجل رجوعه الى تدبير نفسه وعدم رضاه بتدبير الله الذى اختاره لنوح عليه السلام ومن كان معه فى السفينة فقال له نوح عليه السلام يا بنى اركب معنا ولا تكن مع الكافرين قال سآوى الى جبل يعصمني من الماء قال لا عاصم اليوم من أمر الله الا من رحم فأوى فى المعنى الى جبل عقله ثم كان الجبل الذى اعتصم به صورة ذلك المعنى القائم به فكان كما قال الله وحال بينهما الموج فكان من المغرقين فى الظاهر بالطوفان وفى الباطن بالحرمان فاعتبر أيها العبد بذلك فاذا تلاطمت عليك أمواج الاقدار فلا ترجع الى جبل عقلك الباطل لئلا تكون من المغرقين فى بحر القطيعة ولكن ارجع الى سفينة الاعتصام بالله والتوكل عليه ومن يعتصم بالله فقد هدى الى صراط مستقيم ومن يتوكل على الله فهو حسبه فانك اذا فعلت ذلك استوت بك سفينة النجاة على جودى الامن ثم تهبط بسلامة القربة وبركات الوصلة عليك وعلى أمم ممن معك وهى عوالم وجودك فافهم ذلك ولا تكن من الغافلين واعبد ربك ولا تكن من الجاهلين فقد علمت ان اسقاط التدبير والاختيار أهم مايلتزمه الموقنون ويطلبه العابدون واشرف مايتحلى به العارفون * سألت بعض العارفين ونحن تجاه الكعبة فقلت له من أى الناحيتين يكون رجوعك فقال لى مع الله عادة ان لا تجاوز ارادتى قدمى * وقال بعض المشايخ لو أدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار وبقيت أنا لم يقع عندى تمييز فى أى الدارين يكون قرارى فهذا حال عبد محيت اختياراته وارادته فلم يبق له مع الله مراد الا ما أراد كما قال بعض السلف أصبحت وهواى فى مواقع قدر

الله قال أبو حفص الحداد رحمه الله تعالى لى مذ أربعين سنة ما أقامنى الله فى حال فكرهته ولا نقلنى الى غيره فسخطته * وقال بعضهم لى مذ أربعين سنة أشتهى أن لا أشتهى لا ترك ما أشتهى فلا أجد ما أشتهى فهذه قلوب تولى الله رعايتها وأوجب حمايتها ألم تسمع قوله تعالى ان عبادى ليس لك عليهم سلطان لان تحققهم بمقام العبودية ابى لهم الاختيار مع الربوبية وان يقارفوا ذنبا وان يلابسوا عصيانا وقال سبحانه وتعالى انه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون فقلوب ليس للشيطان عليها سلطان من أين يطرقها وساوس التدبير أو يرد عليها وجود التكدير وفى الآية بيان ان من صحح الايمان بالله والتوكل على الله فلا سلطان للشيطان عليه لان الشيطان انما يأتيك من أحد وجهين اما بتشكيك فى الاعتقاد واما بركون الى الخلق والاعتماد فاما التشكيك فى الاعتقاد فالايمان ينفيه وأما السكون الى الخلق والاعتماد عليهم فالتوكل عليه ينفيه ﴿تنبيه﴾ اعلم ان المؤمن قد ترد عليه خواطر التدبير ولكن الله تعالى لا يدعه لذلك ولا يتركه لما هنالك ألم تسمع قوله تعالى الله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور * فالحق سبحانه وتعالى يخرج المؤمنين من ظلمات التدبير الى اشراق نور التفويض ويقذف بحق تثبيته على باطل اضطرابهم فيزلزل اركانه ويهدم بنيانه كما قال الله تعالى بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق والمؤمن وان وردت عليه خواطر الاضطراب والتدبير فهى عابرة لا تثبت لها ومضمحلة لا وجود لها لان نور الايمان قد استقر فى قلوب المؤمنين وأخمدت أنواره نفوسهم وملأ اشراقه قلوبهم وشرح ضياؤه صدورهم فابى الايمان المستقر فى قلوبهم أن يسكن معه غيره وانما هى سنة وردت على القلوب أمكن فيها ورود طيف التدبير ثم تتيقظ القلوب فيزول الطيف الذى لا يكون الا مناما قال الله تعالى * ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون وفى هذه الآية فوائد ﴿الفائدة الاولى﴾ قوله سبحانه وتعالى ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون دل ذلك على أن أصل أمرهم على وجود السلامة منه وان عرض ذلك الطيف فى بعض الاحيان تعريفا بما أودع فيهم من ودائع الايمان ﴿الفائدة الثانية﴾ قوله تعالى اذا مسهم طائف ولم يقل اذا أمسكهم أو أخذهم لان المس ملامسة من غير تمكن فافادت هذه العبارة ان طيف الهوى لا يتمكن من قلوبهم بل يماسها مماسة ولا يتمكن منها امساكا ولا أخذا كما يصنع بالكافرين لان الشيطان يستحوذ على الكافرين ويختلس اختلاسا من قلوب المؤمنين حتى تنام العقول الحارسة للقلوب فاذا استيقظوا انبعثت من قلوبهم جيوش الاستغفار والذلة والافتقار الى الله تعالى فاسترجعوا من الشيطان ما اختلسه وأخذوا منه ما افترسه (الفائدة الثالثة) قوله تعالى اذا مسهم طيف من الشيطان فالاشارة ههنا بالطيف الى ان الشيطان لا يمكنه ان يأتى الى القلوب الدائمة اليقظة لانه انما يورد طيف الغفلة والهوى على القلوب فى حين منامها بوجود غفلتها ومن لا نوم له فلا طيف يرد عليه * (الفائدة الرابعة) قوله تعالى اذا مسهم طيف ولم يقل اذا مسهم وارد من الشيطان أو نحوه لان الطيف لا ثبت له ولا وجود له انما هو صورة مثالية ليس لها حقيقة وجودية فاخبر سبحانه وتعالى بذلك ان ذلك غير ضار بالمتقين لان ما يورده

الشيطان على قلوبهم بمثابة الطيف الذي تراه في منامك فاذا استيقظت فلا وجود له
(الفائدة الخامسة) قوله تعالى اذا مسهم طيف من الشيطان تذكروا ولم يقل ذكروا اشارة الى ان الغفلة لا يطردها الذكر مع غفلة القلب انما يطردها التذكر والاعتبار وان لم تكن الاذكار لان الذكر ميدانه اللسان والتذكر ميدانه القلب وطيف الهوى لما ورد انما ورد على القلوب لا على الالسنة فالذي ينفيه انما هو التذكر الذي يحل محله ويمحق فعله
(الفائدة السادسة) قوله تعالى تذكروا حذف متعلقه ولم يقل تذكروا الجنة أو النار او العقوبة أو غير ذلك وانما حذف متعلق تذكروا الفائدة جليلة وذلك ان التذكر الماحي لطيف الهوى من قلوب المتقين على حسب مراتب اليقين ومرتبة التقوى يدخل فيها الانبياء والرسل والاولياء والصديقون والصالحون والمسلمون فتقوى كل أحد على حسب حاله ومقامه وكذلك أيضا تذكر كل أحد على حسب مقامه فلو ذكر قسما من أقسام التذكر لم يدخل فيه الا أهل ذلك القسم فلو قال تعالى ان الذين اتقوا اذا مسهم طيف من الشيطان تذكروا العقوبة فاذا هم مبصرون خرج عنه الذين تذكروا المثوبة ولو قال تذكروا سابق الاحسان لخرج منه الذين تذكروا الواحق الامتنان الى غير ذلك فاراد الحق سبحانه وتعالى ان لا يذكر متعلق التذكر ليشمل المراتب كلها فافهم *(الفائدة السابعة)* انه قال سبحانه فاذا هم مبصرون ولم يقل تذكروا فابصروا أو تذكروا ثم ابصروا أو تذكروا وابصروا فاما ترك التعبير بالواو فلانه كان لا يفيد ان البصرى كانت عن التذكر والمراد انها كانت مسببة عنه ترغيبا للعباد فيها واما عدوله عن ثم لان فيها ما في الواو من عدم الدلالة على السببية وفيها انها كانت تقتضى عكس المضى لما فيها من المهلة ومراد الحق سبحانه ان هؤلاء العباد لا تتأخر أبصارهم عن تذكرهم ولم يعبر بغير الفاء لاقتضائها التعقيب بل عبر الحق سبحانه بقوله تذكروا فاذا هم مبصرون كانهم لم يزالوا على ذلك البصرى ثناء منه سبحانه عليهم واظهارا لوفور المنة لديهم كما تقول تذكر زيد المسئلة فاذا هى صحيحة أى انها لم تزل صحيحة وانها الآن صحيحة كما وقع العلم بها كذلك المتقون ما زالوا مبصرين ولكن حين ورود طيف الهوى عليهم غطى على بصيرتهم الثابت نورها فيهم فلما استيقظوا ذهبت سحابة الغفلة فاشرقت شمس البصيرة (الفائدة الثامنة) في هذه الآية ونظائرها توسعة على المتقين واطف بالمؤمنين لانه لو قال ان الذين اتقوا لا يمسهم طيف من الشيطان لخرج من ذلك كل أحد الا أهل العصمة فاراد سبحانه وتعالى ان يوسع دوائر رحمته فقال ان الذين اتقوا اذا مسهم طيف ليعلمك ان ورود الطيف عليهم لا يخرجهم عن ثبوت حكم التقوى لهم وجريان اسمه عليهم اذا كانوا كما وصفهم مسرعين بالتذكر راجعين الى الله بالتبصر ومثل هذه الآية في بسط رجاء العباد والتوسعة عليهم قوله تعالى * ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين * ولم يقل يحب الذين لا يذنبون لانه لو قال ذلك لم يدخل فيه الا القليل فعلم الحق سبحانه ما العباد مركبون عليه من وجود الغفلة وما تقتضيه النشأة الاولى الانسانية لكونها ركبت من امشاج من نوع المخالفة وقد قال سبحانه وتعالى يريد الله ان يخفف عنكم وخلق الانسان ضعيفا قال بعض أهل العلم يعنى لا يملك عند قيام الشهوة به وقد قال تعالى هو أعلم بكم اذ أنشأكم من الارض واذ أنتم

أجنة فلأجل ما علم من ان الخطأ غالب على الانسان فتح له باب التوبة ودله عليها ودعاه اليها ووعده القبول اذا تاب والاقبال عليه اذا رجع اليه وآب وقال صلى الله عليه وسلم كل ابن آدم خطاؤن وخير الخطائين التوابون فاعلمك صلى الله عليه وسلم ان الخطأ لازم وجودك بل عين وجودك وقال تعالى والذين اذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب الا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون ولم يقل والذين لا يعملون الفاحشة وقال سبحانه وتعالى واذا ما غضبوا هم يغفرون ولم يقل والذين لا يغضبون وقال سبحانه وتعالى والكاظمين الغيظ ولم يقل والذين لا غيظ لهم فافهم ذلك رحمك الله فهذه أسرار بينة وأمور متعينة ﴿الفائدة التاسعة﴾ تبيين مراتب المتذكرين من المتقين اعلم أهل التقوى اذا مسهم طيف من الشيطان لا يدعهم تقواهم للاصرار على معصية مولاهم بل يرجعهم اليه تذكرهم وتذكرهم على أقسام متذكر يتذكر الثواب ومتذكر يتذكر العقاب ومتذكر يتذكر الوقوف للحساب ومتذكر يتذكر ما في ترك المعصية من جزيل الثواب ومتذكر يتذكر سابق الاحسان فيستحي من وجود العصيان ومتذكر يتذكر لواحق الامتنان فيستحي أن يقابل ذلك بالكفران ومتذكر يتذكر قرب الله تعالى منه ومتذكر يتذكر احاطة الحق سبحانه ومتذكر يتذكر نظر الحق اليه ومتذكر يتذكر معاهدة الله له ومتذكر يتذكر فناء لذته وبقاء مطالبته ومتذكر يتذكر وبال المخالفة وذلها فيكون لها تاركا ومتذكر يتذكر فوائد الموافقة وعزها فيكون لها سالكا ومتذكر يتذكر قيومية الحق به ومتذكر يتذكر عظمة الحق وسلطانه الى غير ذلك من تعلقات التذكر وهي لا حصر لها وانما ذكرنا منها تأنيسا لك باحوال المتقين وتنبيها على بعض مقامات المتبصرين فافهم ﴿الفائدة العاشرة﴾ يمكن أن يكون قوله سبحانه وتعالى ان الذين اتقوا اذا مسهم طيف ان يكون المراد بالطيف ههنا طائف الهاجس او الخاطر الوارد من وجود النفس بالقاء الشيطان وسمي طيفا لانه يطيف بالقلب وتفسره القراءة الاخرى اذا مسهم طائف من الشيطان فتكون احدى القراءتين مفسرة للاخرى والهاجس يطيف بالقلب فان وجد له مسلكا بسلة يجدها في سور مقام اليقين دخل والا ذهب ومثل مقامات اليقين ونور اليقين الجامع لها كالاسوار المحيطة بالبلدة وقلاعها فالاسوار هي الانوار وقلاعها هي مقامات اليقين التي هي دائرة بمدينة القلب فمن أحاط بقلبه سور يقينه وصحح مقاماته التي هي أسوار الانوار كالقلاع فليس للشيطان اليه سبيل ولا له في داره مقيل ألم تسمع قوله تعالى ان عبادي ليس لك عليهم سلطان أي لانهم قد صححوا العبودية لي فلا هم لحكمي منازعون ولا لي في تدبيري متعرضون بل علي متوكلون والي مستسلمون فلذلك قام لهم الحق سبحانه بالرعاية والنصر والحماية وجهوا هممهم اليه فكفاهم من دونه قيل لبعض العارفين كيف مجاهدتك للشيطان قال وما الشيطان نحن قوم صرفنا هممنا الى الله تعالى فكفانا من دونه ✱ وسمعت شيخنا أبا العباس رحمه الله تعالى يقول لما قال الحق تعالى ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا فقوم فهموا من هذا الخطاب ان الله طالبهم بعداوة الشيطان فصرفوا هممهم الى عداوته فشغلهم ذلك عن محبة الحبيب وقوم فهموا من ذلك ان الشيطان لكم عدو أي انا لكم حبيب فاشتغلوا

بمحبة الله فيكفاهم من دونه ثم ذكر الحكاية المتقدمة فان استعاذوا من الشيطان فلاجل ان
الله تعالى أمرهم بذلك لا انهم يشهدون ان لغير الله من الحكم شيأ معه وكيف يشهدون لغيره
حكما معه وهم يسمعونه يقول ان الحكم الا لله أمر ان لا تعبدوا الا اياه وقال سبحانه وتعالى
ان كيد الشيطان كان ضعيفا وقال عز وجل ان عبادي ليس لك عليهم سلطان وقال سبحانه
وتعالى انه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون وقال تعالى ومن يتوكل على الله
فهو حسبه وقال الله تعالى الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور وقال وكان حقا
علينا نصر المؤمنين فهذه الآيات ونظائرها قوت قلوب المؤمنين ونصرتهم النصر المبين فان
استعاذوا من الشيطان فبأمره وان استولوا بنور الايمان عليه فبوجود نصره وان سلموا من
كيده اوهم فبتأييده وبره * قال الشيخ أبو الحسن رحمه الله تعالى اجتمعت برجل في سياحتي
فاوصاني فقال لي ليس شئ في الاقوال اعون على الافعال من لا حول ولا قوة الا بالله وليس
في الافعال اعون من الفرار الى الله والاعتصام بالله ومن يعتصم بالله فقد هدي الى صراط
مستقيم ثم قال بسم الله فررت الى الله واعتصمت بالله ولا حول ولا قوة الا بالله ومن يغفر الذنوب
الا الله بسم الله قول باللسان صدر عن القلب ففروا الى الله وصف الروح والسر واعتصمت
بالله وصف العقل والنفس ولا حول ولا قوة الا بالله وصف الملك والامر ومن يغفر الذنوب الا
الله رب أعوذ بك من عمل الشيطان انه عدو مضل مبين ثم يقول للشيطان هذا علم الله فيك وبالله
آمنت وعليه توكلت وأعوذ بالله منك ولولا ما أمرني ما استعذت منك ومن أنت حتى أستعيذ
بالله منك فقد فهمت رحمك الله ان الشيطان احقر في قلوبهم ان يضيفوا اليه قدرة أو ينسبوا له
ارادة * وسر الحكمة في ايجاد الشيطان ان يكون مظهرا ينسب اليه اسباب العصيان ووجود
الكفران والغفلة والنسيان ألم تسمع قوله وما أنسانيه الا الشيطان هذا من عمل الشيطان
فكان سر ايجاده ليمسح فيه أوساخ النسب ولذلك قال بعض العارفين الشيطان منديل هذه
الدار يمسح به وسخ المعاصي وكل قبيح وخبيث ان الله تعالى لو شاء ان لا يعصى لما خلق ابليس
وقال الشيخ أبو الحسن رحمه الله تعالى الشيطان كالذكر والنفس كالانثى وحدوث الذنب
بينهما كحدوث الولد بين الاب والام لا أنهما أوجداه ولكن عنهما كان ظهوره ومعنى كلام
الشيخ هذا انه كما لا يشك عاقل ان الولد ليس من خلق الاب والام ولا من ايجادهما ونسب
اليهما لظهوره عنهما كذلك لا يشك مؤمن ان المعصية ليست من خلق الشيطان والنفس
بل كانت عنهما لا منهما فلظهورها عنهما نسبت اليهما فنسبة المعصية الى الشيطان والنفس
نسبة اضافة واسناد ونسبتها الى الله نسبة خلق وايجاد كما انه خالق الطاعة بفضله كذلك هو
خالق المعصية بعدله قل كل من عند الله فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا وقال سبحانه
وتعالى الله خالق كل شئ وقال سبحانه وتعالى هل من خالق غير الله وقال سبحانه وتعالى أفمن
يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون * والآية القاصمة للمبتدعة المدعين ان الله يخلق الطاعة
ولا يخلق المعصية قوله تعالى والله خلقكم وما تعملون فان قالوا فقد قال الله تعالى ان الله لا يأمر
بالفحشاء فالامر غير القضاء فان قالوا فقد قال الله تعالى ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك
من سيئة فمن نفسك فهو على هذا التفصيل تعليم للعباد التأدب معه فامرنا ان نضيف المحاسن

اليه لانها اللائقة بوجوده والمساوى الينا لانها اللائقة بوجودنا فيما يحسن الأدب كما قال الخضر عليه السلام فاردت ان أعيبها وقال فاراد ربك أن يبلغا أشدهما وقال ابراهيم عليه السلام واذا مرضت فهو يشفينى ولم يقل الخضر فاراد ربك ان يعيبها كما قال فاراد ربك ان يبلغا أشدهما فاضاف العيب الى نفسه والمحاسن الى سيده وكذلك ابراهيم عليه السلام لم يقل فاذا أمرضنى فهو يشفينى بل قال واذا مرضت فهو يشفينى فاضاف المرض الى نفسه والشفاء الى ربه مع ان الله تعالى هو فاعل ذلك حقيقة وخالقه فقوله تعالى ما أصابك من حسنة فمن الله أى خلقا وايجادا وما أصابك من سيئة فمن نفسك أى اضافة واسنادا كما قال عليه السلام الخير بيديك والشر ليس اليك فقد علم عليه السلام ان الله خالق الخير والشر والنفع والضر ولكن التزم أدب التعبير فقال الخير بيديك والشر ليس اليك على ما بيناه فافهم * فان قالوا ان الحق سبحانه منزه عن أن يخلق المعصية لانها قبيحة والحق سبحانه منزه ان يخلق القبائح قلنا المعصية فعل قبيح من العبد لانه المخالفة للامر اذ القبح لا يرجع الى ذات المنهى عنه ولكن لاجل تعلق النهى به كما ان الحسن لا يتعلق بذات المأمور به ولكن بمعنى تعلق الامر به فافهم ثم ان الحق تعالى يجب تنزيهه عن هذا التنزيه وذلك انهم اذا قالوا تعالى الله ان يخلق المعصية قلنا تعالى الله ان يكون فى ملكه ما لا يريد فافهم هدانا الله واياك الى الصراط المستقيم وأقامنا على الدين القويم بفضله

(تقرير وبيان لذكر قواعد التدبير ومنازعة المقادير)

قال الله تعالى ومن يرغب عن ملة ابراهيم الا من سفه نفسه ولقد اصطفيناه فى الدنيا وانه فى الآخرة لمن الصالحين اذ قال له ربه اسلم قال اسلمت لرب العالمين وقال ان الدين عند الله الاسلام وقال تعالى ملة أبيكم ابراهيم هو سماكم المسلمين من قبل * وقال تعالى فله اسلموا وقال تعالى فان حاجوك فقل أسلمت وجهى لله ومن اتبعنى * وقال تعالى ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين * وقال ومن يسلم وجهه الى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى وقال توفنى مسلما والحقنى بالصالحين وقال وانا أول المسلمين الى غير ذلك فاعلم ان هذا التكرار لذكر الاسلام تنويه لقدره وتفخيم لامره والاسلام له ظاهر وباطن فظاهره الموافقة لله تعالى وباطنه عدم المنازعة له فالاسلام حظ الهياكل وعدم المنازعة والاستسلام حظ القلوب فالاسلام كالصورة والاستسلام هو روح تلك الصورة فالاسلام ظاهر والاستسلام باطن ذلك الظاهر فالمسلم من أسلم نفسه الى الله فكان ظاهرا بامتثال أمره وباطنا بالاستسلام الى قهره وتحقيق مقام الاستسلام بعدم المنازعة لله فى أحكامه والتفويض له فى نقضه وابرامه فمن ادعى الاسلام طولب بالاستسلام قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين الا ترى ان ابراهيم عليه السلام لما قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين فلما زج به فى المنجنيق استغاثت الملائكة قائلة يا ربنا هذا خليلك قد نزل به ما أنت به أعلم فقال الحق سبحانه وتعالى اذهب اليه يا جبريل فان استغاث بك فاغثه والا فاتركنى وخليلى فلما جاءه جبرائيل عليه السلام فى أفق الهواء قال الك حاجة قال أما اليك فلا وأما الى الله فبلى قال فاسأله قال حسبى من سؤالى علمه بحالى فلم يستنصر بغير الله ولا جنحت همته لغير الله بل استسلم بحكم

الله مكتفيا بتدبير الله له عن تدبيره لنفسه وبرعاية الحق له عن رعايته لها ولعلم الحق سبحانه
عن سؤاله علما منه ان الحق به لطيف في جميع أحواله فاثنى الله تعالى عليه بقوله وابراهيم
الذي وفى ونجاه من النار فقال تعالى قلنا يانار كوني بردا وسلاما على ابراهيم قال أهل العلم
لو لم يقل الحق سبحانه وسلاما لاهلكه بردها فخمدت تلك النار وقال أهل العلم باخبار الانبياء
عليهم الصلاة والسلام لم يبق في ذلك الوقت نار بمشارق الارض ولا بمغاربها الا خمدت ظانة
أنها المعنية بالخطاب فقيل انه لم تحرق النار منه الا قيده *(فائدة جليلة)* انظر الى قول
ابراهيم عليه السلام لما قال له جبرائيل عليه السلام الك حاجة قال أما اليك فلا ولم يقل ليس
لي حاجة لان مقام الرسالة والخلة يقتضي القيام بصريح العبودية ومن لازم مقام العبودية
اظهار الحاجة الى الله تعالى والقيام بين يديه بوصف الفاقة اليه ورفع الهمة عما سواه
فناسب ذلك ان يقول أما اليك فلا أي أنا محتاج الى الله وأما اليك فلا فجمع في كلامه هذا
اظهار الفاقة الى الله ورفع الهمة عما سواه لا كما قال بعضهم لا يكون الصوفي صوفيا حتى
لا يكون له الى الله حاجة وهذا كلام لا يليق باهل الاقتداء المكملين مع انه مؤول لقائله بان
مراده ان الصوفي قد تحقق بان الله قد قضى حوائجه من قبل أن يخلقه فليس له الى الله حاجة
الا وهي مقضية في الازل ولا يلزم من نفي الحاجة نفي الاحتياج *والتأويل الثاني انما قال
لا يكون له الى الله حاجة أي انه انما يطلبه وليس همته الطلب منه وشتان بين طالب الله
وطالب من الله وقد يكون مراده بقوله حتى لا يكون له الى الله حاجة أنه مفوض الى الله مستسلم
له فليس له مع الله مراد الا ما أراد *(فائدة جليلة)* أيضا وذلك أن جبرائيل عليه السلام لما
قال لابراهيم الك حاجة قال أما اليك فلا وأما الى الله فبلى قيل علم جبرائيل عليه السلام انه
لا يستغيث به وان قلبه لا يشهد الا الله عز وجل وحده فقال له حينئذ سله أي ان لم تستغث بي
التزاما منك عدم التمسك بالوسائط فسل ربك فانه أقرب اليك مني فقال ابراهيم عليه السلام
مجيبا له حسبي من سؤالي علمه بحالي أي اني نظرت فرأيته أقرب الي من سؤالي ورأيت سؤالي
من الوسائط وانا لا أريد ان اتمسك بشيء دونه ولاني علمت ان الحق سبحانه وتعالى عالم فلا
يحتاج ان يذكر بسؤال ولا يجوز عليه الاهمال فاكتفيت بعلم الله عن السؤال وعلمت انه
لا يدعني من لطفه في كل حال وهذا هو الاكتفاء بالله تعالى والقيام بحقوق حسبي الله * وكان
شيخنا أبو العباس رضي الله عنه يقول في قوله تعالى وابراهيم الذي وفى قال وفى بمقتضى قوله
حسبي الله وقال بعضهم سلم طعامه للضيفان وولده للقربان وجسده للنيران فاثنى الحق عليه
بقوله وابراهيم الذي وفى *(فائدة جليلة)* اعلم ان الملائكة لما قال لهم الحق سبحانه وتعالى اني
جاعل في الارض خليفة يعني آدم وذريته قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن
نسبح بحمدك ونقدس لك قال اني أعلم ما لا تعلمون فكان عدم استغاثة ابراهيم عليه السلام
بجبرائيل عليه السلام في ذلك الموطن احتجاجا من الله عليهم كأنه يقول كيف رأيتم عبدي هذا
يا من قال أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء فظهر بذلك قوله سبحانه وتعالى اني أعلم
ما لا تعلمون * جاء في الحديث عنه صلى الله عليه وسلم قال يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل
وملائكة بالنهار فيصعد الذين باتوا فيكم فيسألهم وهو أعلم كيف تركتم عبادي فيقولون أتيناهم

وهم يصلون وتركناهم وهم يصلون قال الشيخ أبو الحسن رضي الله عنه كأن الحق سبحانه وتعالى يقول لهم يا من قال أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء كيف تركتم عبادي فكان مراد الحق سبحانه وتعالى بارسال جبرائيل عليه السلام اظهار رتبة الخليل عنده لا ثكته وتبيينا لشرف قدره وفخامة أمره وكيف يمكن ابراهيم عليه السلام ان يستغيث بشيء دونه وهو لا يرى الا اياه ولا يشهد سواه وانما سمي الخليل خليلا لانه تخلل سره بمحبة الله وعظمته وأحديته فلم يبق فيه متسع لغيره كما قيل

قد تخللت مسلك الروح مني * و بذا سمي الخليل خليلا

فاذا ما نطقت كنت كلامي * واذا ما صمت كنت الغليلا

﴿تنبيه واعلام﴾ اعلم ان الحق سبحانه وتعالى بسط سر ابراهيم عليه السلام بنور الرضا واعطاه روح الاستسلام وصان قلبه عن النظر الى الانام فما كانت النار عليه بردا وسلاما الا لما كان قلبه مفوضا الى الله استسلاما فعن الاستسلام كان عليه السلام وعن تصحيح باطن المقام كان ما ظهر عليه من الاجلال والاعظام فافهم من ذلك أيها المؤمن ان من استسلم الى الله في واردات الامتحان اعاد الله عليه شوكها ريحانا وخوفها امانا فاذا قذفك الشيطان في منجنيق الامتحان فعرضت لك الاكوان قائلة ألك حاجة فقل أما اليك فلا وأما الى الله فبلى فان قالت لك سله فقل حسبي من سؤالي علمه بحالي فان الله يعيد عليك نار الدنيا بردا وسلاما ويعطيك منة واكراما لان الله سبحانه وتعالى فتح بالانبياء والرسل سبيل الهدى فسلك وراءهم المؤمنون والتزم اتباعهم الموقنون كما قال سبحانه وتعالى قل هذه سبيلي ادعو الى الله على بصيرة انا ومن اتبعني وقال في شأن يونس عليه السلام فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجي المؤمنين أي كذلك ننجي المؤمنين المتبعين لآثاره المتشوقين لانواره الطالبين من الله بالذلة والافتقار والآخذين شعار المسكنة والانكسار ﴿انعطاف﴾ في قصة ابراهيم عليه السلام هذه بيان للمعتبرين وهداية للمتبصرين وهو أن من خرج عن تدبيره لنفسه كان الله سبحانه وتعالى هو المتولي لحسن التدبير له ألا ترى ان ابراهيم عليه السلام لما لم يدبر لنفسه ولا اهتم بها بل ألقاها الى الله تعالى واسلمها اليه وتوكل في كل شأنه عليه فلما كان كذلك كان عاقبة استسلامه وجود السلامة والاكرام وبقاء الثناء عليه على ممر الايام وقد أمرنا الله تعالى أن لا نخرج عن ملته وان نرعى حق تسميته بقوله تعالى ملة أبيكم ابراهيم هو سماكم المسلمين من قبل فحق على كل من كان ابراهيميا أن يكون عن تدبيره لنفسه بريا ومن منازعة الله خليا ومن اعتراضه عريا ومن يرغب عن ملة ابراهيم الا من سفه نفسه وملته لازمها التفويض الى الله تعالى والاستسلام في واردات الاحكام واعلم ان المراد هو أن لا يكون لك مع الله مراد وانا في هذا المعنى شعر

مرادي منك نسيان المراد * اذا رمت السبيل الى الرشاد

وأن تدع الوجود فلا تراه * وتصبح ماسكا حبل اعتماد

الى كم غفلة عني واني * على حفظ الرعاية والوداد

الى كم أنت تنظر مبد عاتي * وتصبح هائما في كل وادي

وتتركـ أن تميل الى جنابي * لعمركـ قد عدلت عن السداد
وودي فيك لوتدري قديم * ويوم ألست يشهد بانفرادي
فهل رب سواي فترتجيه * غدا ينجيك من كرب شداد
فوصف العجز عم الكون طرا * فمفتقر بمفتقر ينادي
فبي قد قامت الاكوان طرا * وأظهرت المظاهر من مرادي
أفي داري وفي ملكي وملكي * توجه للسوى وجه اعتماد
فحدق أعين الايمان وانظر * ترى الاكوان تؤذن بالنفاد
فمن عدم الى عدم مصير * وأنت الى الفنا لاشك غادي
وها خلعي عليك فلا تراها * وصن وجه الرجاء عن العباد
ببابي أوقف الآمال طرا * ولا تأتي لحضرتنا بزاد
ووصفك فالزمنه وكن ذليلا * ترى مني المنى طوع القياد
وكن عبدا لنا والعبد يرضى * بما تقضي الموالي من مراد
أأستر وصفك الادنى بوصفي * فتجزى ذاك جهلا بالعناد
وهل شاركتني في الملك حتى * غدوت منازعي والرشد باد
فان رمت الوصول الى جنابي * فهذي النفس فاحذرها وعادي
وخض بحر الفناء عسى ترانا * واعددنا الى يوم المعاد
وكن مستمطرا منا التلاقي * جميل الصنع من مولى جواد
ولا تشهد يوما من سوانا * لما أحد سوانا اليوم هاد

(تنبيه واعلام) اعلم ان التدبير على قسمين تدبير محمود وتدبير مذموم فالتدبير المذموم هو كل تدبير ينعطف على نفسك بوجود حظها لا لله قياما بحقه كالتدبير في تحصيل معصية أو في حظ بوجود غفلة أو طاعة بوجود رياء وسمعة ونحو ذلك وهذا كله مذموم لانه اما أن يوجب عقابا أو يوجب حجابا ومن عرف نعمة العقل استحى من الله أن يصرف عقله الى تدبير مالا يوصله الى قربه ولا يكون سببا لوجود حبه والعقل أفضل ما من الله به على عباده لانه سبحانه وتعالى خلق الموجودات وتفضل عليها بالايجاد وبدوام الامداد فهما نعمتان ما خرج موجود عنهما ولابد لكل مكون منهما نعمة الايجاد ونعمة الامداد وربما يفهم من ههنا قوله تعالى ورحمتي وسعت كل شئ لكن لما اشتركت الموجودات في ايجاده وامداده اراد الحق تعالى ان يميز بعضها على بعض ليظهر سعة تعلقات ارادته واتساع مشيئته فميز بعض الموجودات بالنمو كالنبات والحيوان البهمي والآدمي فظهرت القدرة فيه ظهورا أجلى من ظهورها في الموجودات الغير نامية فلما اشتركت هذه الثلاثة في النمو افرد الحيوان الآدمي وغير الآدمي بوجود الحياة فشارك الآدمي في ذلك الحيوان البهمي فظهر بقدرته فيه ظهورا أجلى من ظهوره في الناميات فأراد أن يميز الآدمي عنه فاعطاه العقل وفضله لذلك على الحيوان وكمل به نعمته على الانسان وبالعقل ووفوره واشراقه ونوره تتم مصالح الدنيا والآخرة فصرف نعمة العقل الى تدبير الدنيا التي لا قدر لها عند الله كفر لنعمة العقل وتوجهه الى الاهتمام باصلاح شأنه في

معاده قيامه بوجود شكر المحسن اليه والمفيض من نوره عليه أحق به وأحرى وأفضل له وأولى فلا تصرف عقلك الذي من به عليك في تدبير الدنيا التي هي كما أخبر عنها النبي عليه السلام بقوله الدنيا جيفة قذرة وكما قال صلى الله عليه وسلم للضحاك ما طعامك قال اللحم واللبن يا رسول الله قال ثم يعود الى ماذا قال الى ما قد علمت يا رسول الله قال فان الله جعل ما يخرج من ابن آدم مثلا للدنيا وقال صلى الله عليه وسلم لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة ماء * ومثل من صرف عقله في تدبير الدنيا التي هذه الصفات صفاتها كمثل من أعطاه الملك سيفا عظيما قدره مفخما أمره لم يسمح لكثير من رعاياه بمثله ليقتل به أعداءه ويتزين بحمله فعمد آخذ هذا السيف الى الجيف فجعل يضرب بها حتى تغال ضياؤه وكل شباه وتغير حسنه وسناه فجدير اذا اطلع الملك على هذه الحالة منه ان يأخذ السيف منه ويعظم عقوبته على سوء فعاله وان يمنعه من وجود اقباله فقد تبين من هذا أن التدبير على قسمين تدبير محمود وتدبير مذموم فالتدبير المحمود هو ما كان تدبيرا بما يقربك من الله كالتدبير في براءة الذمم من حقوق المخلوقين اما وفاء واما استحلالا وتصحيح التوبة الى رب العالمين والفكرة فيما يؤدي الى قمع الهوى المردي والشيطان المغوي وكل ذلك محمود لا شك فيه ولاجل ذلك قال رسول الله عليه السلام فكرة ساعة خير من عبادة سبعين سنة والتدبير للدنيا على قسمين تدبير الدنيا للدنيا وتدبير الدنيا للآخرة فتدبير الدنيا للدنيا هو أن يدبر في أسباب جمعها افتخارا بها واستكثارا وكلما ازداد فيها شيأ ازداد غفلة واغترارا وأمارة ذلك أن يشغله عن الموافقة ويؤديه الى المخالفة وتدبير الدنيا للآخرة كمن يدبر المتاجرة والمكاسب والغراسة ليأكل منها حلالا ولينعم بها على ذوي الفاقة افضالا وليصون بها وجهه عن الناس اجمالا وأمارة من طلب الدنيا لله تعالى عدم الاستكثار والادخار والاسعاف منها والايثار وللزاهد في الدنيا علامتان علامة في فقدها وعلامة في وجدها فالعلامة التي في وجدها الايثار منها والعلامة التي في فقدها وجود الراحة منها فالايثار شكر لنعمة الوجدان ووجود الراحة منها شكر لنعمة الفقدان وذلك ثمرة الفهم عن الله والعرفان لان الحق تعالى كما قد ينعم عليك بوجودها كذلك قد ينعم بصرفها بل نعمته في صرفها أتم * قال سفيان الثوري رحمه الله تعالى لنعمة الله على فيما زوى عني من الدنيا أتم من نعمته علي فيما أعطاني منها * وقال الشيخ أبو الحسن الشاذلي رحمه الله رأيت الصديق رضي الله عنه في المنام فقال لي أتدري ما علامة خروج حب الدنيا من القلب قلت لا أدري قال علامة خروج حب الدنيا من القلب بذلها عند الوجود ووجود الراحة منها عند الفقد فقد تبين من هذا ان ليس كل طالب للدنيا مذموما بل المذموم من طلبها لنفسه لا لربه ولدنياه لا لآخرته فالناس اذا على قسمين عبد طلب الدنيا للدنيا وعبد طلب الدنيا للآخرة * وسمعت شيخنا أبا العباس رحمه الله يقول العارف لا دنيا له لان دنياه لآخرته وآخرته لربه وعلى ذلك تحمل أحوال الصحابة والسلف الصالحين رضي الله عنهم فكلما دخلوا فيه من أسباب الدنيا فهم بذلك الى الله متقربون والى رضاه ساعيون لا قاصدون بذلك الدنيا وزينتها ووجود لذتها وبذلك وصفهم الحق تعالى بقوله محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم في

وجوههم من أثر السجود وقال فى الآية الأخرى فى بيوت اذن الله ان ترفع و يذكر فيها اسمه يسبح
له فيها بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقام الصلاة وايتاء
الزكاة يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والابصار و بقوله تعالى رجال صدقوا ما عاهدوا الله
عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا ونظائر هذه الآيات وما ظنك بقوم
اختارهم الله لصحبة رسوله صلى الله عليه وسلم ولمواجهة خطابه فى تنزيله فما أحد من
المؤمنين الى يوم القيامة الا وللصحابة فى عنقه منن لا تحصى واياد لا تنسى لانهم هم الذين حملوا
الينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الحكمة والاحكام و بينوا الحلال والحرام وفهموا
الخاص والعام وفتحوا الاقاليم والبلاد وقهروا أهل الشرك والعناد وبحق ما قال رسول الله
عليه السلام فيهم أصحابى كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم وقد وصفهم فى الآية الاولى باوصاف
الى ان قال يبتغون فضلا من الله ورضوانا فقد أخبر سبحانه وهو المطلع على أسرارهم العالم
بهم فى سرهم واجهارهم انهم ما ابتغوا بما حاولوه الدنيا ولم يقصدوا بذلك الا وجه الله الكريم
وفضله العميم وقد قال سبحانه وتعالى فيهم واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى
يريدون وجهه فقد أخبر سبحانه انهم لا يريدون سواه ولا يقصدون الا اياه وقال فى الآية الاخرى
يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله اشارة الى انه
قد ظهر أسرارهم وكمل أنوارهم فلذلك لا تأخذ الدنيا قلوبهم ولا تخدش وجه ايمانهم وكيف
تأخذ الدنيا من قلوب ملأها بحبه وأشرق فيها أنوار قربه وقد قال سبحانه وتعالى ان عبادى
ليس لك عليهم سلطان فلو كان للدنيا على قلوبهم سلطان لكان للشيطان على قلوبهم أيضا اذ
لا يمكن الشيطان أن يصل الى قلوب أشرقت فيها أنوار الزهد وكنست من أوساخ الرغبة فقوله
سبحانه وتعالى ان عبادى ليس لك عليهم سلطان أى ليس لك ولا لشئ من الاكوان على قلوبهم
سلطان لان سلطان عظمتى فى قلوبهم يمنعهم ان يكون على قلوبهم سلطان لشئ دونى
فاثبت الحق سبحانه وتعالى لهم فى هذه الآية انهم لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله ولم
ينف عنهم انهم لا يتجرون ولا يبيعون بل فى الآية ما يدل على جواز البيع والتجارة من فحوى
الخطاب اذا تدبرته مندبرا ولى الالباب ألم تسمع قوله تعالى واقام الصلاة وايتاء الزكاة فلو نهاهم
عن الغنى لنهاهم عن التسبب المؤدى اليه وهو التجارة والبيع ألا ترى انه قال وايتاء الزكاة
فايجابه الزكاة عليهم دليل على ان هؤلاء الرجال الذين هذه الاوصاف أوصافهم قد يكون منهم
أغنياء ولا يخرجهم عن المدحة غناهم اذا قاموا فيه بحقوق مولاهم قال عبد الله بن
عتبة كان لعثمان بن عفان رضى الله عنه يوم قتل عند خازنه مائة ألف وخمسون ألف دينار وألف
ألف درهم وخلف ضياعا بين اريس وخيبر ووادى القرى قيمته مائتى ألف دينار و بلغ ثمن
مال الزبير رضى الله عنه خمسين ألف دينار وترك ألف فرس وألف مملوك وخلف عمرو بن
العاص رضى الله عنه ثلثمائة ألف دينار وغنى عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه أشهر من
ان يذكر وكانت الدنيا فى أكفهم لا فى قلوبهم صبروا عنها حين فقدت وشكروا الله حين
وجدت وانما ابتلاهم الحق سبحانه وتعالى بالفاقة فى أول أمرهم حتى تكملت أنوارهم
وتطهرت أسرارهم فبذلها لهم لانهم لو أعطوها قبل ذلك فلعلها كانت آخذة منهم فلما

أعطوها بعد التمكين والرسوخ في اليقين تصرفوا فيها تصرف الخازن الأمين وامتثلوا قوله تعالى وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه ومن ههنا يفهم منعهم عن الجهاد في أول الأمر بقوله تعالى لهم فاعفوا واصفحوا حتى يأتي الله بأمره لأنه لو أبيح لهم الجهاد في أول الإسلام فلعل الذي هو حديث عهد بالإسلام لو ألحق لهم الجهاد أن يكون انتصاره لنفسه من حيث لا يشعر حتى كان علي رضي الله عنه إذا ضرب أمهل حتى تبرد تلك الضربة ثم يضرب بعد ذلك خشية أن يضرب عنها فيكون في ذلك مشاركة من حظه وذلك لمعرفته رضي الله عنه بدسائس النفوس وكمائنها وعظيم حراستهم لقلوبهم وتخليص أعمالهم واشفاقهم أن يكون في عملهم شيء لم يرد به وجه الله تعالى فكانت الدنيا في أيدي الصحابة رضي الله عنهم لا في قلوبهم ويدل على ذلك خروجهم عنها وإيثارهم بها وهم الذين قال الحق فيهم ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة حتى أنه أهدي لإنسان منهم رأس شاة فقال فلان أحق بها مني ثم قال الآخذ لها كذلك فما زالوا يتهادونها إلى أن عادت إلى الذي أهداها أولا بعد أن طافت على سبعة أو نحوهم ويكفيك في ذلك خروج عمر رضي الله عنه عن نصف ماله وخروج أبي بكر الصديق رضي الله عنه عن ماله كله وخروج عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه عن سبعمائة بعيره وقرة الأحمال وتجهيز عثمان رضي الله عنه جيش العسرة إلى غير ذلك من حسن أفعالهم وسني أحوالهم وتضمنت الآية الأخرى وهي قوله سبحانه وتعالى رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا الإخبار عنهم بسر الصدق الذي لا يطلع عليه أحد إلا الحق سبحانه وتعالى وذلك ثناء عظيم وفخر جسيم لأن ظواهر الأفعال قد تلبس فيها الأحوال فيما يرجع إلى علم العباد فتضمنت الآيات التزكية لظواهرهم وسرائرهم وإثبات محامدهم ومفاخرهم فقد تبين من هذا أن تدبير الدنيا على قسمين تدبير الدنيا للدنيا كما هو حال أهل القطيعة الغافلين وتدبير الدنيا للآخرة كحال الصحابة المكرمين والسلف الصالحين ويدلك على ذلك قول عمر رضي الله عنه إني لأجهز الجيش وأنا في صلاتي لأن تدبير عمر رضي الله عنه على المعاينة والمواجهة فهو إذا تدبير لله فلذلك لم يكن قاطعا لصلاته ولا منقصا من كمالها فإن قلت قد زعمت أن ليس منهم من يريد الدنيا وأنزل الحق سبحانه وتعالى في شأنهم يوم أحد منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة حتى قال بعض الصحابة رضي الله عنهم ما كنا نظن أن أحدا منا يريد الدنيا حتى نزل قوله تعالى منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة فاعلم وفقك الله للفهم عنه وجعلك من أهل الاستماع منه أنه يجب على كل مؤمن أن يظن بالصحابة الظن الجميل وأن يعتقد فيهم الاعتقاد الفضيل وأن يلتمس لهم أحسن المخارج في أقوالهم وأفعالهم وفي جميع أحوالهم في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعد وفاته لأن الحق سبحانه وتعالى لما زكاهم تزكية مطلقة لم يقيدها بزمن دون زمن وكذلك تزكية رسول الله عليه السلام لهم بقوله أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم وعن هذه الآية جوابان أحدهما منكم من يريد الدنيا للآخرة كالذين أرادوا الغنيمة ليعاملوا الله بما يأخذونه منها بذلا وإيثارا ومنكم من لم يكن ذلك مراده إنما كان مراده تحصيل فضل الجهاد لا غير فلم يلو على الغنائم ولم يلتفت إليها فمنهم الفاضل ومنهم الأفضل ومنهم الكامل ومنهم

الاكمل الجواب الثاني أن السيد يقول لعبده ماشاء وعلينا أن نتأدب مع عبده اثبوت نسبته
منه فليس كلما خاطب السيد به عبده ينبغي أن ننسبه للعبد ولا أن نخاطبه به اذ للسيد أن يقول
لعبده ماشاء تحريضا للعبد وتنشيطا لهمته وقصده وعلينا أن نلزم حدود الادب معه وان
تصفحت الكتاب العزيز وجدت فيه كثيرا منها سورة عبس حتى قالت عائشة رضي الله عنها
لو كان رسول الله عليه السلام كاتما شيأ من الوحي لكتم هذه السورة فقد تقرر من هذا انه
ليس اسقاط التدبير الممدوح ترك الدخول في اسباب الدنيا والفكرة في مصالحها لتستعين
بذلك على طاعة مولاه والعمل لاخراه وانما التدبير المنهي عنه هو التدبير فيها لها وعلامة
ذلك أن يعصي الله تعالى من أجلها وأن يأخذها كيف كان من حلها أو غير حلها (فائدة)
اعلم ان الاشياء انما تذم وتمدح بما تؤدي اليه فالتدبير المذموم ماشغلك عن الله وعطلك عن
القيام بخدمة الله وصدك عن معاملة الله والتدبير المحمود هو ماليس كذلك مما يؤديك الى
القرب من الله تعالى ويوصلك الى مرضاة الله وكذلك الدنيا ليست تذم بلسان الاطلاق ولا
تمدح كذلك وانما المذموم منها ماشغلك عن مولاك ومنعك الاستعداد لاخراك كما قال بعض
العارفين كلما شغلك عن الله من أهل ومال وولد فهو عليك مشؤم والممدوح ما اعانك على
طاعته وأنهضك الى خدمته وبالجملة ماوقع المدح به فهو ممدوح في نفسه وماوقع الذم به فهو
مذموم في نفسه وقد جاء عن رسول الله عليه السلام الدنيا جيفة قذرة مذرة وقال صلى الله
عليه وسلم الدنيا ملعونة ملعون مافيها الا ذكر الله وماوالاه وعالم أو متعلم وقال صلى الله عليه
وسلم ان الله جعل مايخرج من ابن آدم مثلا للدنيا فهذه الاحاديث تقتضي ذمها وتنفير العباد
عنها وجاء عنه صلى الله عليه وسلم لاتسبوا الدنيا فنعمت مطية المؤمن عليها يبلغ الخير وبها
ينجو من الشر فالدنيا التي لعنها رسول الله عليه السلام هي الدنيا الشاغلة عن الله تعالى
ولذلك استثنى في الحديث فقال الا ذكر الله وماوالاه وعالم أو متعلم فبين عليه السلام أن هذا
ليس من الدنيا وقوله عليه السلام لاتسبوا الدنيا أي التي توصلكم الى طاعة الله ولذلك قال صلى
الله عليه وسلم فنعمت مطية المؤمن فمدحها من حيث كونها مطية لامن حيث انها دار اغترار
ووجود أوزار واذ قد علمت هذا فقد فهمت أن اسقاط التدبير ليس هو الخروج عن الاسباب
حتى يعود الانسان ضيعة فيكون كلا على الناس فيجهل حكمة الله في اثبات الاسباب وارتباط
الوسائط وقد جاء عن عيسى عليه السلام انه مر بمتعبد فقال له من أين تأكل فقال أخي
يطعمني فقال أخوك أعبد منك أي أخوك وان كان في سوقه أعبد منك لانه هو الذي أعانك
على الطاعة وفرغك لها وكيف يمكن أن ينكر الدخول في الاسباب بعد أن جاء قوله تعالى
وأحل الله البيع وحرم الربوا وقوله وأشهدوا اذا تبايعتم وقوله عليه السلام أحل ما أكل المرء
من كسب يمينه وان داود نبي الله كان يأكل من كسب يمينه وقوله عليه السلام أفضل الكسب
عمل الصانع بيده اذا نصح وقال صلى الله عليه وسلم التاجر الامين الصدوق المسلم مع الشهداء يوم
القيامة فكيف يمكن أحدا بعد هذا أن يذم الاسباب لكن المذموم منها ماشغلك عن الله
وصدك عن معاملته ولو تركت هذه الاسباب وغفلت عن الله بالتجريد كنت مذموما أيضا
وليست الآفات داخلة على المتسببين فحسب بل قد تدخل على المتجردين كما تدخل على المتسببين

لا عاصم اليوم من امر الله الا من رحم بل قد يكون دخولها على المتجردين أشد اذ الآفات الداخلة على المتسببين دخول فى الدنيا مع عدم الدعوى منهم لظاهرهم كما طنهم مع اعترافهم بالتقصير ومعرفتهم بفضل المتفرغين لطاعة الله عليهم وآفات المتجردين ربما كانت عجبا أو كبرا أو رياء أو تصنعا أو تزينا للخلق بطاعة الله استجلابا لما فى أيديهم وقد تكون الآفات اعتمادا واستنادا الى الخلق وأمارة ذلك ذمه للناس اذا لم يكرموه وعتبه عليهم اذا لم يخدموه فالمنغمس فى الاسباب مع الغفلة أحسن حالا من هذا بكثير * أحسن الله منا النيات وطهر نفوسنا من الآفات بفضله وكرمه

(فصل) لعلك تفهم من هذا الكلام أن المتجرد والمتسبب فى رتبة واحدة وليس الامر كذلك ولن يجعل الله من تفرغ لعبادته وشغل أوقاته به كالداخل فى الاسباب ولو كان فيها متقيا فالمتسبب والمتجرد اذا استوى مقامهما من حيث المعرفة بالله فالمتجرد أفضل وما هو فيه أعلى وأكمل ولذلك قال بعض العارفين مثل المتسبب والمتجرد كعبدين للملك قال لاحدهما اعمل وكل من كسب يدك وقال للآخر الزم أنت حضرتى وخدمتى وأنا أقوم لك بما تريد فهذا قدره عند السيد أجل وصنعه به ذلك على العناية به أدل ثم انه قل ما تسلم من المخالفة أو تصفو لك الطاعات مع الدخول فى الاسباب لاستلزامها لمعاشرة الاضداد ومخالطة أهل الغفلة والعناد واشد ما يعينك على الطاعات رؤية المطيعين وأشد ما يدخلك فى الذنب رؤية المذنبين كما قال عليه السلام المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل قال الشاعر

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه * فكل قرين بالمقارن يقتدى
فان كان ذا شر فجانبه سرعة * وان كان ذا خير فقارنه تهتدى

والنفس من شأنها التشبه والمحاكاة والتزين بصفات من قارنها والمضاهاة فصحبتك الغافلين معونة لها على وجود الغفلة اذ الغفلة ملازمة لها من أصل الوضع فكيف اذا انضم الى ذلك سبب مخالطة الغافلين وقد تجد من نفسك أيها الاخ وفقك الله انه لا يستوى حالة خروجك من منزلك وعودك اليه وأنت فى حين خروجك تتغلب عليك الانوار وشرح الصدر والعزم على الطاعة والزهد فى الدنيا فتجدك اذا رجعت لست كذلك ولا فيما هنالك وما ذاك الا لدنس المخالطة وانغماس القلوب فى ظلمة الاسباب ولو كانت الاسباب والمعاصى اذا ذهبت ذهب أثرها لم تعوق القلوب عن المسير الى الله تعالى بعد انفصالها ووجودها وانما ذلك كالنار فربما انقضى الايقاد وبقى السواد ويحتاج المتسبب الى شيئين علم وتقوى فالعلم يعلم به الحلال والحرام والتقوى تصده عن ارتكاب الآثام فاما حاجته الى العلم فانه يحتاج الى الاحكام المتعلقة بالمعاملة بيعا وسلما وصرفا وما يتعلق بذلك مع ما يحتاج اليه من أحكام الواجبات والفروض المعينات *(تنبيه واعلام)* أمور ينبغى للمتسببين أن يلتزموها *(الاول)* ربط العزم مع الله تعالى قبل الخروج من المنزل على العفو عن المسيئين اليه اذ الاسواق محل المخاصمة والمقاولة ولذلك قال رسول الله عليه السلام ايعجز أحدكم أن يكون كابى ضمضم كان اذا خرج من بيته قال اللهم انى تصدقت بعرضى على المسلمين *(الثانى)* ينبغى له أن يتوضأ أو يصلى قبل خروجه و يسأل الله السلامة فى مخرجه ذلك فانه لا يدرى ماذا يقضى

عليه فان الخارج الى السوق كالخارج الى المصاف فينبغي للمؤمن أن يلبس من الاعتصام بالله تعالى والتوكل عليه دروعا سابغة تقيه سهام الاعداء ومن يعتصم بالله فقد هدى الى صراط مستقيم ومن يتوكل على الله فهو حسبه *(الثالث)* ينبغي له اذا خرج من منزله أن يستودع الله أهله ومسكنه ومافيه فانه حري أن يحفظ ذلك عليه وليذكر قوله تعالى فالله خير حافظا وهو أرحم الراحمين وليذكر قوله عليه السلام اللهم أنت الصاحب في السفر والخليفة في الاهل والولد والمال فانه اذا استودعهم الله فحري أن يرجع فيجدهم كما يحب ويحبون * سافر بعضهم وكانت زوجته حاملا فحين سافر قال اللهم اني استودعك ما في بطنها فتوفيت زوجته في غيبته فلما قدم من سفره سأل عنها فقيل له توفيت وهي حامل فلما كان الليل رأى نورا الى المقابر فتبعه فاذا هو في قبرها واذا بالصبي يرضع من ثديها فهتف به هاتف يا هذا انك استودعتنا الولد فوجدته أما لو استودعتهما لوجدتهما جميعا *(الرابع)* يستحب له اذا خرج من منزله أن يقول بسم الله توكلت على الله لا حول ولا قوة الا بالله فان قال ذلك كان مؤيسا للشيطان منه *(الخامس)* الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وليجعل ذلك شكرا النعمة القوة والتقوى اللذين وهبهما المولى له وليذكر قوله تعالى الذين ان مكناهم في الارض أقاموا الصلوة وآتوا الزكوة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الامور فمن أمكنه الامر بالمعروف والنهي عن المنكر بحيث لا يصل اليه أذى في نفسه أو عرضه أو ماله فهو ممن مكن في الارض والوجوب متعلق به وان كان لا يصل الى الامر بالمعروف والنهي عن المنكر الا بالاذى قبل ذلك أو يغلب على ظنه وقوع ذلك بعد سقط عنه الوجوب والانكار حينئذ جائز *(السادس)* أن يكون مشيه بالسكينة والوقار لقوله تعالى وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما وليس ذلك خاصا بالمشي بل المطلوب منك أن تكون أفعالك كلها تقارنها السكينة ويلازمها التثبت *(السابع)* أن يذكر الله تعالى في سوقه فانه قد جاء عنه عليه السلام ذاكر الله في الغافلين كالقاتل بين الفارين ذاكر الله في السوق كالحي بين الموتى وكان بعض السلف يركب بغلته ويأتي الى السوق فيذكر الله ثم يرجع لا يخرجه الا ذلك *(الثامن)* أن لا يشغله ماهو فيه من المبايعة والمعاش عن النهوض الى الصلاة في أوقاتها جماعة لانه اذا ضيعها اشتغالا بسببه استوجب المقت من ربه ورفع البركة من كسبه ويستحي أن يراه الحق مشغولا بحظوظ نفسه عن حقوق ربه وقد كان بعض السلف يكون في صنعته فربما رفع المطرقة فسمع المؤذن فرماها من خلفه لئلا يكون ذلك شغلا بعد ان دعي الى طاعة ربه وليذكر اذا سمع المؤذن قوله تعالى يا قومنا أجيبوا داعي الله وقوله تعالى يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم وقوله تعالى استجيبوا لربكم وقالت عائشة رضي الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكون في بيته يخصف النعل ويعين الخادم فاذا نودي للصلاة قام كأنه لا يعرفنا *(التاسع)* ترك الحلف والاطراء لسلعته وقد جاء في ذلك الوعيد الشديد وقد قال عليه السلام التجار هم الفجار الا من بر وصدق *(العاشر)* كف لسانه عن الغيبة والنميمة وليذكر قوله تعالى ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه وليعلم أن السامع للغيبة أحد

المغتابين فان اغتيب أحد بحضرته فلينكر عليه فان لم يسمع منه فليقم ولا يمنعه الحياء من الخلق من القيام بحق الملك الحق فالله أولى أن يستحيى منه وأن يرضى الله ورسوله أحق من أن يرضى الناس والله ورسوله أحق أن يرضوه وقد جاء عنه عليه السلام ان الغيبة أشد من ستة وثلاثين زنية فى الاسلام وقال الشيخ أبو الحسن رحمه الله أربعة آداب اذا خلى الفقير المتسبب منها فلا تعبأن به وان كان أعلم البرية مجانبة الظلمة وايثار أهل الآخرة ومواساة ذوى الفاقة وملازمة الخمس الصلوات فى الجماعة وصدق رضى الله عنه فان مجانبة الظلمة تقع السلامة فى الدين لان صحبة الظلمة تكشف نور الايمان ومجانبتهم أيضا تكون سببا للنجاة من عقوبة الله تعالى لقوله تعالى ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار وقوله وايثار أهل الآخرة أن يكون الفقير المتسبب الغالب عليه التردد الى أولياء الله والاقتباس منهم ليتقوى بذلك على كدرة الاسباب فتنفع عليه نفحاتهم وتظهر عليه بركاتهم وربما وصلت اليه فى سببه أمدادهم وحفظ من المعصية ودهم واعتقادهم وقوله رضى الله عنه ومواساة ذوى الفاقة وذلك لانه يجب على العبد أن يشكر نعمة الله عنده فاذا فتح لك فى الاسباب فاذكر من أغلقت عليه أبوابها واعلم أن الله سبحانه وتعالى اختبر الاغنياء بوجدان أهل الفاقة كما اختبر أهل الفاقة بوجود الاغنياء وجعلنا بعضكم لبعض فتنة أتصبرون وكان ربك بصيرا ووجود أهل الفاقة نعمة من الله على ذوى الغناء اذ وجدوا من يحمل عنهم أوزارهم الى الدار الآخرة واذ وجدوا من اذا أخذ منهم أخذ الله منهم والله هو الغنى الحميد فلولم يخلق الفقير فكيف كان تتقبل منهم صدقاتهم وأين كانوا يجدون من يأخذوها منهم ولذلك قال عليه السلام من تصدق بصدقة من كسب طيب ولا يقبل الله تعالى الا طيبا كان كانما يضعها فى كف الرحمن يربيها له كما يربى أحدكم فلوه أو فصيله حتى ان اللقمة لتعود مثل جبل أحد ولذلك كان من اشراط الساعة أن لا يجد الرجل من يقبل صدقته وقوله وملازمته الخمس فى جماعة وذلك أن الفقير المتسبب لما فاته التخلى والتجرد لعبادة الله تعالى فيدخل مدخل الخصوص بدوام الخدمة وملازمة الموافقة فينبغى أن لا تفوته ملازمة الخمس فى الجماعة لتكون ملازمته لها سببا لتجديد الانوار وموجبا لوجود الاستبصار وقد قال عليه السلام تفضل صلاة الجماعة على صلاة الفذ بخمس وعشرين درجة وفى الحديث الآخر بسبع وعشرين جزأ ولو شرع للعباد أن يصلى كل انسان فى حانوته وداره لتعطلت المساجد التى قال فيها الحق سبحانه وتعالى فى بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله ولان فى ملازمة الصلاة جماعة اجتماع القلوب وتناصرها والتئامها ورؤية المؤمنين واجتماعهم وقد قال صلى الله عليه وسلم يد الله مع الجماعة ولان الجماعة اذا اجتمعت انبسطت بركات قلوبهم على من حضرهم وامتدت أنوارهم لمن شهدهم وكان اجتماعهم وتضامهم كالجيش اذا اجتمع وتضام كان ذلك سببا فى وجود نصرته وهو أحد التأويلين فى قوله تعالى ان الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص *(استلحاق)* وعليك أيها المؤمن بغض طرفك من حين تخرج من بيتك الى حين ترجع ولتذكر قول الله تعالى قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم وليعلم أن بصره نعمة من الله عليه فلا يكن

لنعم

نعم الله كفورا وأمانة من الله عنده فلا يكن لها خائنا وليذكر قوله تعالى يعلم خائنة الاعين وما تخفى الصدور وقوله تعالى ألم يعلم بأن الله يرى واذا أردت أن ترى فاعلم أنه يرى وليعلم أنه اذا غض بصره فتح الله بصيرته جزاء وفاقا ومن ضيق على نفسه فى دائرة الشهادة وسع الله عليه فى دائرة الغيب وقال بعضهم ما غض أحد بصره عن محارم الله الا واوجده نورا فى قلبه يجد حلاوة ذلك

(انعطاف) اعلم أن التدبير مع الله عز وجل عند أولى البصائر انما هو مخاصمة للربوبية وذلك لانه اذا نزل بك أمر تريد رفعه أو رفع عنك أمر تريد وضعه أو تهممت بأمر أنت عالم أنه متكفل بذلك وقائم به اليك كان ذلك منازعة للربوبية وخروجا عن حقيقة العبودية واذكر ههنا قوله سبحانه وتعالى أولم ير الانسان أنا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين ففى هذه الآية توبيخ للانسان لما غفل عن أصل نشأته وخاصم منشئه وغفل عن سر بدايته ونازع مبدئه وكيف يصلح لمن خلق من نطفة أن ينازع الله فى أحكامه وأن يضاده فى نقضه وابرامه فاحذر رحمك الله التدبير مع الله *واعلم أن التدبير من أشد حجب القلوب عن مطالعة الغيوب وانما التدبير للنفس ينبع من وجود المواددة لها ولو غبت عنها افناء وكنت بالله بقاء لغيبك ذلك عن التدبير لنفسك أو بنفسك وما أقبح عبدا جاهلا بافعال الله غافلا عن حسن نظر الله ألم تسمع قوله تعالى قل كفى بالله واين الاكتفاء بالله لعبد مدبر مع الله ولو اكتفى بتدبير الله له لاقتطعه ذلك عن التدبير مع الله

(تنبيه واعلام) اعلم أن التدبير أكثر طريانه على العباد المتوجهين وأهل السلوك من المريدين قبل الرسوخ فى اليقين ووجود القوة والتمكين وذلك لان أهل الغفلة والاساءة قد أجابوا الشيطان فى الكثير والمخالفات واتباع الشهوات فليس للشيطان حاجة أن يدعوهم الى التدبير ولو دعاهم اليه لاجابوه بسرعة فليس هو أقوى أسبابه فيهم انما يدخل بذلك على أهل الطاعة والمتوجهين لعجزه عن أن يدخل من غير ذلك عليهم فرب صاحب ورد عطله عن ورده أو عن الحضور مع الله تعالى فيه هم التدبير والفكرة فى مصالح نفسه ورب ذى ورد استضعفه الشيطان فألقى اليه دسائس التدبير ليعكر عليه صفاء وقته لانه حاسد والحاسد أشد ما يكون لك حسدا اذا صفت لك الاوقات وحسنت منك الحالات ثم ان وساوس التدبير ترد على كل أحد من حيث حاله فمن كان تدبيره فى تحصيل كفاية يومه أو غده فعلاجه أن يعلم أن الله تعالى قد تكفل له برزقه لقوله تعالى وما من دابة فى الارض الا على الله رزقها وسيأتى بسط القول فى أمر الرزق بعد هذا فى باب منفرد ان شاء الله تعالى ومن كان تدبيره فى دفع ضرر العدو الذى لا طاقة له به فليعلم أن الذى يخافه ناصيته بيد الحق تعالى وأنه لا يصنع الا ما صنعه الحق فيه وليذكر قوله تعالى ومن يتوكل على الله فهو حسبه وقوله تعالى أليس الله بكاف عبده ويخوفونك بالذين من دونه وقوله تعالى الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم واصغ بسمع قلبك الى قوله تعالى فاذا خفت عليه فألقيه فى اليم ولا تخافى ولا تحزنى ولتعلم أن الحق تعالى أولى من استجير به فأجار لقوله تعالى وهو يجير ولا يجار عليه وأولى من استحفظ فحفظ لقوله تعالى فالله خير حفظا وهو أرحم الراحمين وان كان التدبير من أجل ديون حلت لا وفاء لها ولا صبر لاربابها فاعلم أن

الذي يسر عليك بلطفه من أعطاك هو الذي ييسر بلطفه الوفاء عنك هل جزاء الاحسان
الا الاحسان وأن العبد يسكن لما في يده ولا يسكن لما في يد الحق تعالى له وان كان التدبير
من أجل عائلة تركتهم وراء ظهرك لا شئ يقوم بهم فاعلم أن الذي يقوم بهم بعد مماتك هو
الذي يقوم بهم في حضورك وغيبتك في حياتك واسمع ماقال رسول الله عليه السلام اللهم أنت
الصاحب في السفر والخليفة في الاهل فالذي ترجوه امامك هو الذي يرجى لما وراءك واسمع قول
بعضهم ان الذي وجهت وجهي له هو الذي خلفت في أهلي لم يخف عنه حالهم ساعة وفضله أوسع
من فضلي وأن الله أرحم بهم منك فلاتهتم بمن هو في كفالة غيرك وان كان تدبيرك واهتمامك
من أجل مرض نزل بك تخاف أن تتطاول ساعاته وتمتد أوقاته فاعلم أن للبلايا والاسقام
أعمارا فكما لايموت حيوان الاعند انقضاء عمره كذلك لاتنقضي بلية حتى ينقضي ميقاتها
واذكر قوله تعالى فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون وكان ولد لبعض المشايخ
فتوفي أبوه وبقي الولد بعده فامتسكت عليه امداد الوقت وكان لابيه أصحاب قد تفرقوا بالعراق
فتفكر أى أصحاب أبيه يقصد ثم أجمع عزمه على أن يقصد أوجههم عند الناس فلما قدم
عليه أكرمه وأجل محله ثم قال ياسيدي وابن سيدي ماالذي جاء بك قال توقفت على أسباب
الدنيا فاردت أن تتحدث لي عند أمير البلدة لعل أن يجعلني على جهة من جهاته فيكون فيها تمشية
حالي فاطرق الشيخ مليا ثم رفع رأسه اليه وقال ليس في قدرتي أن أجعل أول الليل سحرا ابن
ايامك اذا وليت حكم العراقيين فخرج ولد ذلك الشيخ من عنده متغيظا ولم يفهم ماقال له الرجل
الصالح فاتفق أن طلب الخليفة من يعلم ولده فدل عليه وقيل له ولد فلان فاحضر لتعليم ولد
الخليفة فمكث يعلم ولد الخليفة مدة التعليم ويجالسه بعد ذلك حتى تكملت أربعين عاما فتوفي
الخليفة واستخلف ولده الذي كان هذا معلما له فولاه حكم العراقيين وان كانت الفكرة
والتدبير لأجل زوجة أو أمة فقدتها كانت توافقك في احوالك وتقوم بمهمات اشغالك فاعلم
أن الذي يسرها لك لم ينفد فضله واحسانه لم ينقطع وهو قدير على أن يهبك من منته ما يزيد حسنا
ومعرفة على ما فقدت فلا تكن من الجاهلين ووجوه التدبير لا تتعدد عاجلاتها فاستقصاء
وجوهها وعاجلاتها لاسبيل اليه لانتشارها وعدم انحصارها ومتى أعطاك الله الفهم عرفت
كيف تصنع ﴿تنبيه واعلام﴾ اعلم ان التدبير انما يكون من النفس لوجود الحجاب فيها ولو سلم
القلب من مجاورتها وسلم من محادثتها لم تطرقه طوارق التدبير وسمعت شيخنا أبا العباس
المرسي رضي الله عنه يقول ان الله سبحانه وتعالى لما خلق الارض على الماء اضطربت
فأرساها بالجبال فقال والجبال أرساها كذلك لما خلق النفس اضطربت فأرساها بجبال
العقل انتهى كلام الشيخ أبي العباس رضي الله عنه فاى عبد توفر عقله واتسع نوره تنزلت عليه
السكينة من ربه فسكنت نفسه عن الاضطراب ووثقت بولي الاسباب فكانت مطمئنة أى
خامدة لاحكام الله ثابتة لاقداره ممدودة بتأييده وانواره خارجة عن التدبير والمنازعة
للمقادير مسلمة لمولاها لعلمها بانه يراها أولم يكف بربك أنه على كل شئ شهيد فاستحقت أن يقال
لها ياأيتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي
وفي هذه الآية خصائص عظيمة ومناقب لهذه النفس المطمئنة جسيمة منها أن النفوس ثلاثة

أمارة ولوامة ومطمئنة لم يواجه الحق سبحانه وتعالى واحدة من الانفس الثلاث الا المطمئنة فقال فى الامارة ان النفس لامارة بالسوء وفى اللوامة ولا أقسم بالنفس اللوامة وأقبل على هذه بالخطاب فقال يا أيتها النفس المطمئنة ارجعى * (الثانى) * تكنيته اياها والتكنية فى لغة العرب تجليل فى الخطاب وفخر عند أولى الالباب * (الثالث) * مدحه اياها بالطمأنينة ثناء منه عليها بالاستسلام اليه والتوكل عليه * (الرابع) * وصفه هذه النفس بالطمأنينة والطمئن هو المنخفض من الارض فلما انخفضت بتواضعها وانكسارها التى عليها مولاها اظهارا لقدرها لقوله صلى الله عليه وسلم من تواضع لله رفعه الله * (الخامس) * قوله تعالى ارجعى الى ربك راضية مرضية فيه اشارة الى انه لا يؤذن للنفس الامارة واللوامة بالرجوع الى الله تعالى رجوع الكرامة بل انما ذلك للنفس المطمئنة لاجل ماهى عليه من الطمأنينة قيل لها ارجعى الى ربك راضية مرضية فقد أبحنا لك الدخول الى حضرتنا والخلود فى جنتنا فكان فى ذلك تحريض للعبد على مقام الطمأنينة ولا يصل اليه أحد الا بالاستسلام الى الله تعالى وعدم التدبير معه * (السادس) * قوله ارجعى الى ربك ولم يقل الى الرب ولا الى الله فيه اشارة الى ان رجوعها اليه من حيث لطف ربوبيته لا الى قهر الاهيته فكان فى ذلك تأنيسا لها وملاطفة وتكريما وموادة * (السابع) * قوله تعالى راضية أى عن الله فى الدنيا باحكامه وفى الآخرة بجوده وانعامه فكان فى ذلك تنبيه للعبد انه لا يحصل له الرجعى الى الله الامع الطمأنينة بالله والرضا عن الله والا فلا وفى ذلك اشارة الى انه لا يحصل أن يكون مرضيا عند الله فى الآخرة حتى يكون راضيا عنه فى الدنيا فان قلت هذه الآية تقتضى أن يكون الرضا من الله نتيجة الرضا من العبد والآية الأخرى تدل على أن الرضا من العبد نتيجة الرضا من الله عنه * فاعلم ان لكل آية ما أثبتت فلا خفاء فى الجمع بين الآيتين وذلك ان قوله تعالى رضى الله عنهم ورضوا عنه يدل من وجود ترتيبه على ان الرضا من العبد نتيجة الرضا من الله والحقيقة تقضى بذلك لانه لولم يرض عنهم أولا لم يرضوا عنه آخرا والآية الاخرى تدل على أن من رضى عن الله فى الدنيا كان مرضيا عنده فى الآخرة وذلك بين لا اشكال فيه * (الثامن) * قوله تعالى مرضية وذلك مدحة عظمى لهذه النفس المطمئنة وهى أجل المدح والنعوت ألم تسمع قوله تعالى ورضوان من الله أكبر بعد ان وصف نعيم أهل الجنة أى رضوان من الله عنهم فيها أكبر من النعيم الذى هم فيه (التاسع) قوله تعالى فادخلى فى عبادى فيه بشارة عظمى للنفس المطمئنة اذ نوديت ودعيت الى أن تدخل فى عباده وأى عباد هؤلاء هم عباد التخصيص والنصر لا عباد الملك والقهر هم العباد الذين قال الله فيهم ان عبادى ليس لك عليهم سلطان وقال تعالى الا عبادك منهم المخلصين لا العباد الآخرون الذين قال فيهم ان كل من فى السموات والارض الا آتى الرحمن عبدا فكان فرح هذه النفس المطمئنة بقوله فادخلى فى عبادى أشد من فرحها بقوله تعالى وادخلى جنتى لان الاضافة الاولى اليه تعالى والاضافة الثانية الى جنته (العاشر) قوله تعالى وادخلى جنتى فيه اشارة الى ان هذه الاوصاف التى اتصفت بها النفس المطمئنة هى التى أهلتها الى ان تدعى ان تدخل فى عباده والى ان تدخل فى جنته جنة الطاعة فى الدنيا والجنة المعلومة فى الآخرة والله أعلم * (فائدة) * قد تضمنت الآية صفتين كل واحدة منهما

تدل على عدم قواعد التدبير وذلك انه سبحانه وتعالى وصف هذه النفس التي خصصها بهذه الخصائص التي ذكرناها باوصاف منها الطمأنينة والرضا وهما لا يكونان الا مع اسقاطها التدبير اذلا تكون النفس مطمئنة حتى تترك التدبير مع الله تعالى ثقة منها بحسن تدبيره لها الا انها اذا رضيت عن الله استسلمت له وانقادت لحكمه واذعنت لامره فاطمأنت لربوبيته وقرت بالعهاد على الاهيته فلا اضطراب اذ ما أعطاها من نور العقل يثبتها فلا حركة لها خامدة لاحكامه مفوضة له في نقضه وابرامه *(فائدة)* اعلم ان سر خلق التدبير والاختيار ظهور قهر القهار وذلك انه سبحانه وتعالى أراد أن يتعرف الى العباد بقهره فخلق فيهم تدبيرا واختيارا ثم فسخ امهم بالحجبة حتى أمكنهم ذلك اذلو كانوا في وجود المواجهة والمعاينة لم يمكنهم التدبير والاختيار كما لا يمكن الملأ الاعلى ذلك فلما دبر العباد واختاروا توجه بقهره الى تدبيرهم واختيارهم فزلزل أركانهم وهدم بنيانهم فلما تعرف للعباد بقهر مراده علموا انه القاهر فوق عباده فما خلق الارادة فيك لتكون لك الارادة ولكن لتدحض ارادته ارادتك فتعلم انه ليس لك ارادة كذلك لم يجعل التدبير فيك ليكون لك دائما فيك وانما جعله فيك لتدبر ويدبر فيكون ما يدبر لا ما تدبر ولذلك قيل لبعضهم بماذا عرفت الله قال بنقض العزائم

(فصل) كنا قد وعدنا بأن نفرد للتدبير في شأن الرزق بابا وذلك ان اكثر دخول التدبير على القلوب من جهته فاعلم ان سلامة القلوب من التدبير في شأن الرزق منة عظمى لا يسلم منها الا الموفقون الذين صدقوا الله في حسن الثقة فاطمأنت قلوبهم اليه وتحققوا بالتوكل عليه حتى لقد قال بعض المشايخ احكموا لي أمر الرزق ولا عليكم من سائر المقامات وقال بعض المشايخ أشد الهموم هموم الاقتضاء *وتبيين ما قال هذا الشيخ ان الله تعالى خلق هذا الآدمي محتاجا الى مدد يصلح بنيته ويمد قوته لما كانت الحرارة الغريزية التي هي فيه تحلل اجزاء بدنه كان هذا الغذاء تطبخه المعدة ثم تأخذ خلاصته فتعود جزء بدنه خلفا لما حللته الحرارة الغريزية منه ولو شاء الحق تعالى لاغنى وجود الآدمي عن المدد الحسي وتناول الاغذية ولكن أراد سبحانه وتعالى ان يظهر حاجة الحيوان الى وجود التغذية واضطراره الى ذلك وغناه سبحانه وتعالى عما هو الحيوان محتاج اليه فلذلك قال سبحانه وتعالى قل أغير الله اتخذ وليا فاطر السموات والارض وهو يطعم ولا يطعم فتمدح سبحانه وتعالى بوصفين أحدهما انه يطعم غيره لان كل العباد آخذ من احسانه وآكل من رزقه وامتنانه والآخر انه لا يطعم لانه المقدس عن الاحتياج الى التغذية بل هو الصمد والصمد هو الذي لا يطعم وانما خص الحق تعالى الحيوان بالافتقار الى التغذية دون غيره من الموجودات لانه سبحانه وتعالى وهب الحيوان من صفاته مالو تركه من غير فاقة لادعى أو ادعى فيه فاراد الحق سبحانه وتعالى وهو الحكيم الخبير أن يحوجه الى مأكل ومشرب وملبس وغير ذلك ليكون تكرار الحاجة منه سببا لخمود الدعوى عنه أو فيه *(فائدة)* اعلم ان الحق تعالى أراد أن يجعل الحاجة لهذا النوع وهو الحيوان من الآدمي وغيره اما ليعرفه أو ليعرف به الاترى ان الحاجة باب الى الله وسبب يوصلك اليه ألم تسمع قوله تعالى يا أيها الناس أنتم الفقراء الى الله والله هو الغني الحميد فجعل الفقر الى الله سببا يؤدي الى

الوصول اليه والدوام بين يديه ولعلك ان تفهم ههنا قوله صلى الله عليه وسلم من عرف نفسه عرف ربه أى من عرف نفسه بحاجتها وافتقارها وذلتها وفاقتها ومسكنتها عرف ربه بعزه وسلطانه وجوده واحسانه الى غير ذلك من أوصاف الكمال لاسيما هذا النوع من الآدمى فان الحق سبحانه وتعالى كرر فيه أسباب الحاجة وعدد فيه أنواع الفاقة لانه محتاج الى صلاح معاشه ومعاده وافهم ههنا قوله تعالى لقد خلقنا الانسان فى كبد أى من أمر دنياه واخراه فلكرامته عند الله كرر أسباب الحاجة فيه ألم تر ان لاصناف الحيوان غنية بأصوافها وأوبارها وأشعارها عن لباس دثارها وغنية بمرابضها وأوكارها عن أن تتخذ بيتا لقرارها *(فائدة أخرى)* وهو ان الحق تعالى أراد أن يختبر هذا الآدمى فأحوجه لامور شتى لينظر أيدخل فى استجلابها بعقله وتدبيره أو يرجع الى الله فى قسمته وتقديره *(فائدة أخرى)* وهو انه سبحانه وتعالى أراد ان يتحبب الى هذا العبد فلما أورد عليه أسباب الفاقة ورفعها عنه وجد العبد لذلك حلاوة فى نفسه وراحة فى قلبه فأوجب له ذلك تجديد الحب لربه قال صلى الله عليه وسلم أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمه فكلما تجددت النعم تجدد له من الحب بحسبها *(فائدة أخرى)* وهو انه سبحانه وتعالى اراد أن يشكر فلذلك أورد الفاقة على العباد وتولى رفعها ليقوموا له بوجود شكره وليعرفوه باحسانه وبره قال الله تعالى كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور *(فائدة أخرى)* وذلك انه تعالى أراد أن يفتح للعباد باب المناجاة فكلما احتاجوا الى الاقوات والنعم توجهوا اليه برفع الهمم فشرفوا بمناجاته ومنحوا من هباته ولولم تستفهم الفاقة الى المناجاة لم يفقهها عقول العموم من العباد ولولا الحاجة لم يستفتح بابها الا عقول أهل الوداد فصار ورود الفاقة سببا للمناجاة والمناجاة شرف عظيم ومنصب من الكرامة جسيم الا ترى ان الحق سبحانه وتعالى أخبر عن موسى عليه السلام بقوله سبحانه وتعالى فسقى لهما ثم تولى الى الظل فقال رب انى لما أنزلت الى من خير فقير قال على رضى الله عنه والله ما طلب الا خبزا يأكله ولقد كانت خضرة البقل ترى من شفيف صفاق بطنه لهزاله فانظر رحمك الله كيف سأل من ربه ذلك لعلمه انه لا يملك شيأ غيره وكذلك ينبغى للمؤمن أن يكون كذلك يسأل الله تعالى ما قل وجل حتى قال بعضهم انى لاسأل الله فى صلاتى حتى ملح عجينى ولا يصدنك أيها المؤمن عن طلب ما تحتاج اليه من الله قلة ذلك فانه ان لم تسأله فى القليل لم تجد من يعطيك ذلك غيره والطلب وان كان قليلا فقد صار لفتحه باب المناجاة جليلا حتى قال الشيخ أبو الحسن رحمه الله لا يكن همك فى دعائك الظفر بقضاء حاجتك فتكون محجوبا عن ربك وليكن همك مناجاة مولاك وفى هذه الآية فوائد *(الفائدة الاولى)* وهو أن يكون المؤمن طالبا من ربه ما قل وجل وقد ذكرناه آنفا *(الفائدة الثانية)* انه صلى الله عليه وسلم نادى متعلقا باسم الربوبية لانه المناسب فى هذا المكان لان الرب من رباك باحسانه وغذاك بامتنانه فكان فى ذلك استعطاف لسيده اذ ناداه باسم الربوبية التى ما قطع عنه عوائدها ولا حبس فوائدها *(الفائدة الثالثة)* قوله انى لما أنزلت الى من خير فقير ولم يقل انى الى الخير فقير وفى ذلك من الفائدة انه لو قال انى الى خيرك أو الى الخير فقير لم يتضمن انه قد أنزله رزقه ولم يهمل أمره فأتى بقوله انى لما أنزلت الى من خير فقير ليدل على انه

واثق بالله عالم بانه لا ينساه فكانه يقول رب انى أعلم انك لا تهمل أمرى ولا أمر شئ مما خلقت وانك قد أنزلت رزقى فقولى ما أنزلت لى كيف تشاء على ما تشاء محفوظا باحسانك مقرونا بامتنانك فكان فى ذلك فائدتان فائدة الطلب وفائدة الاعتراف بان الحق سبحانه وتعالى قد أنزل رزقه ولكنه أبهم وقته وسببه وواسطته ليقع اضطرار العبد ومع الاضطرار تكون الاجابة لقوله تعالى أمن يجيب المضطر اذا دعاه ولو تعين السبب والوقت والوسائط لم يقع للعباد الاضطرار الذى وجوده عند ابهامها فسبحان الاله الحكيم والقادر العليم * (الفائدة الرابعة) * تدل الآية على ان الطلب من الله تعالى لا يناقض مقام العبودية لان موسى عليه السلام له الكمال فى مقام العبودية وبعد ذلك طلب من الله فدل على ان مقام العبودية لا يناقضه الطلب فان قلت ان كان مقام العبودية لا يناقضه الطلب فكيف لم يطلب ابراهيم خليل الله صلى الله عليه وسلم حين رمى به فى المنجنيق وتعرض له جبريل عليه السلام فقال ألك حاجة قال أما اليك فلا وأما الى الله فبلى قال سله قال حسبى من سؤالى علمه بحالى فاكتفى بعلم الله تعالى به عن اظهار الطلب منه * فالجواب ان الانبياء صلوات الله عليهم يعاملون فى كل موطن بما يفهمون عن الله انه الا ليق به ففهم ابراهيم عليه السلام ان المراد به فى ذلك الموطن عدم اظهار الطلب والاكتفاء بالعلم فكان بما فهمه عن ربه وكان هذا لان الحق سبحانه أراد أن يظهر سره وعنايته به للملا الاعلى الذين لما قال لهم انى جاعل فى الارض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال انى أعلم مالا تعلمون فاراد الحق تعالى ان يظهر سر قوله انى أعلم مالا تعلمون يوم زج بابراهيم عليه السلام فى المنجنيق كانه يقول يا من قال أتجعل فيها من يفسد فيها كيف رأيتم خليلى نظرتم الى ما يكون فى الارض من صنع أهل الفساد كنمرود ومن ضاهاه من أهل الفساد وما نظرتم الى ما يكون فيها من أهل الصلاح والرشاد كما كان من ابراهيم عليه السلام ومن تابعه من أهل الوداد وأما موسى صلوات الله عليه فانه علم ان مراد الحق تعالى منه فى ذلك الوقت اظهار الفاقة وابداء لسان المسئلة فقام بما يقتضيه وقته ولكل وجهة هو موليها فكل على بينة وهداية وتوفيق من الله ورعاية * (الفائدة الخامسة) * انظر الى طلب موسى عليه السلام من ربه وجود الرزق ولم يواجهه بالطلب بل اعترف بين يدى الله بوصف الفقر والفاقة وشهد له سبحانه وتعالى بالغنى لانه اذا عرف نفسه بالفقر والفاقة عرف ربه بالغنى والملاءة وهذا من بسط المناجاة وهى كثيرة فتارة تسلك على بساط الفاقة فتناديه ياغنى وتارة على بساط الذلة فتناديه ياعزيز وتارة على بساط العجز فتناديه ياقوى وكذلك فى بقية الاسماء فاعترف موسى عليه السلام بالفقر والفاقة الى الله تعالى فكان فى ذلك تعريض للطلب وان لم يطلب وقد يكون التعريض للطلب لذكر أوصاف العبد من فقره الى الله تعالى وحاجته وقد يكون التعريض بذكر أوصاف السيد من وجوده واحديته كما جاء فى الحديث أفضل دعائى ودعاء الانبياء من قبلى لا اله الا الله وحده لا شريك له فجعل الثناء على الله تعالى دعاء لان فى الثناء على السيد الغنى بذكر أوصاف كماله تعرضا لفضله ونواله كما قال الشاعر

كريم لا يغيره صباح * عن الخلق الكريم ولا مساء

اذا

اذا أثنى عليه المرء يوما * كفاه من تعرضه الثناء

وقال الله تعالى حاكيا عن يونس عليه السلام فنادى فى الظلمات أن لا اله الا أنت سبحانك اني كنت من الظالمين ثم قال سبحانه وتعالى مخبرا عن نفسه فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجي المؤمنين ويونس عليه السلام لم يطلب صريحا ولكن لما اثنى على ربه عز وجل واعترف بين يديه فقد أظهر الفاقة اليه فجعل الحق تعالى ذلك طلبا *(الفائدة السادسة)* وكان من حقها أن تكون أولى ان موسى عليه السلام فعل المعروف مع ابنتى شعيب عليه السلام ولم يقصد منهما أجرا ولا طلب منهما جزاء بل لما سقى لهما أقبل على ربه فطلب منه ولم يطلب منهما وانما طلب من مولاه الذى منه ما طلب منه اعطاه والصوفى من يوفى من نفسه ولا يستوفى لها ولنا فى هذا المعنى شعر

لا تشتغل بالعتب يوما للورى * فيضيع وقتك والزمان قصير
وعلام تعتبهم وأنت مصدق * أن الامور جرى بها المقدور
هم لم يوفوا للاله بحقه * أتريد توفية وأنت حقير
فاشهد حقوقهم عليك وقم بها * واستوف منك لهم وأنت صبور
واذا فعلت فاشهدن بعين من * هو بالخفايا عالم وخبير

لموسى عليه السلام وفى من نفسه ولم يستوف لها فكان له عند الله الجزاء الاكمل وعجل له سبحانه فى الدنيا زائدا على ما ادخره له فى الآخرة ان زوجه احدى الابنتين وجعله صهر النبيه شعيب عليه السلام وآنسه به حتى جاء أوان رسالته فلا تجعل معاملتك الامع الله تعالى أيها العبد تكن من الرابحين ويكرمك بما أكرم به العباد المتقين *(الفائدة السابعة)* انظر الى قوله سبحانه وتعالى فسقى لهما ثم تولى الى الظل ففى ذلك دليل على انه يجوز للمؤمن ان يؤثر الظلال على الضواحى وبارد الماء على سخنه وأسهل الطريقين على أشقهما وأوعرهما ولا يخرجه ذلك عن مقام الزهد الاترى أن الحق سبحانه وتعالى أخبر عن موسى عليه السلام انه تولى الى الظل أى قصده وجاء اليه *فان قلت قد جاء عن بعضهم أنه دخل عليه فوجد قد انبسطت الشمس على قلته التى يشرب منها فقيل له فى ذلك فقال انى لما وضعتها لم يكن شمس وانى لاستحى أن أمشى بحظ نفسى *فاعلم رحمك الله ان هذا حال عبد يتطلب الصدق من نفسه ويمنعها منا ها ليشغلها بذلك عن الغفلة عن مولاها ولو اكتمل مقامه لرفع الماء عن الشمس قاصدا بذلك قيامه بحق نفسه التى أمره الله تعالى أن يقوم بها الا استجلابا لحظه ولكن ليقوم بحق ربه فى نفسه وقد قال سبحانه وتعالى يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر وقال تعالى يريد الله أن يخفف عنكم وخلق الانسان ضعيفا ولذلك كان عند الفقهاء اذا نذر المشى الى مكة شرفها الله حافيا جاز له ان ينتعل ولا يلزمه الحفاء لانه ليس للشرع فى متاعب العباد قصد خاص ولم تأت الشرائع بمنع الملاذ للعباد وكيف وهى مخلوقة من أجلهم * قال الربيع بن زياد الحارثى لعلى رضى الله عنه أستعدنى على أخى عاصم قال ماباله قال لبس العباء يريد النسك فقال على رضى الله عنه على به فأتى به مؤتزرا بعباءة مترديا باخرى شعث الرأس واللحية فعبس فى وجهه وقال ويحك أما استحييت من أهلك اما رحمت ولدك أترى ان الله تعالى أباح لك

الطيبات وهو يكره ان تنال منها شيأ بل أنت أهون على الله أما سمعت من الله يقول فى كتابه والارض وضعها للانام الى قوله يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان افترى أن الله اباح هذا للعباد الا ليتلذذوا ويحمدوا الله عليه فيثيبهم وان ابتذالك نعم الله بالفعل خير منه بالمقال قال عاصم فما بالك فى خشونة ما كلك وخشونة ملبسك قال ويحك ان الله فرض على أئمة الحق ان يقدروا انفسهم بضعفة الناس فقد تبين لك من على رضى الله عنه ان الحق تعالى لم يطالب العبد بعدم تناول المذوذات وانما طالبهم بالشكر عليها اذا تناولوها فقال تعالى كلوا من رزق ربكم واشكروا له وقال يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات مارزقناكم واشكروا لله وقال يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا ولم يقل لا تأكلوا وانما قال كلوا واعملوا * فان قلت الطيبات فى هاتين الآيتين المراد بها الحلال اذ هو الطيب باعتبار نظر الشرع * فاعلم انه يمكن أن يكون المراد بالطيبات الحلال لانه طيب باعتبار انه لم يتعلق به اثم ولا مذمة ولا حجبة ويمكن ان يكون المراد بالطيبات المذوذات من المطاعم ويكون سر اباحتها والامر باكلها ان العبد متى تناولها الذاذتها فتنشط همته للشكر فيقوم بوجود الخدمة ويرعى حق الحرمة * قال الشيخ أبو الحسن رحمه الله قال لى شيخى يا بنى برد الماء فان العبد اذا شرب الماء السخن قال الحمد لله بكزازة واذا شرب الماء البارد فقال الحمد لله استجاب كل عضو فيه بالحمد لله ثم قال وأما الذى دخل عليه فوجد قد انبسطت الشمس على قلته فقيل له ألا ترفعها فقال حين وضعتها لم تكن شمس وأنا أستحى أن أمشى لحظ نفسى فانه صاحب حال لا يقتدى به * (الطاف) * قدمضى قولنا فى سر احواج الحيوان وهذا الآدمى خصوصا الى وجود تغذية بمدد له فالآن نتحدث فى تكفل الحق تعالى بهذه التغذية وقيامه بايصالها فاعلم ان الحق تعالى لما أحوج الحيوان الى مدد يمده وتغذية يكون بها حفظ وجوده وكان هذان الجنسان اللذان هما الانس والجان خاطبهما لأمرهما بعبادته وليطالبهما بطاعته وموافقته فقال تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ما أريد منهم من رزق وما أريد ان يطعمون ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين فبين تعالى انه انما خلق هذين الجنسين لعبادته أى ليأمرهم بها كما تقول لعبدك ما اشتريتك أيها العبد الا لتخدمني أى لآمرك بالخدمة فتقوم بها وقد يكون العبد مخالفا متأبيا ولم يكن شراؤك اياه لذلك وانما كان ليقوم بمهماتك وانقضاء حاجاتك وأهل الاعتزال يحملون الآية على ظاهرها فيقولون الحق خلقهم للطاعة والكفر والمعصية من قبل أنفسهم وقد أبطلنا هذا المذهب قبل * وفى تبيين سر الخلق والايجاد اعلام للعباد وتنبيه لماذا خلقوا كى لا يجهلوا مراد الله تعالى فيهم فيضلوا عن سبيل الهداية ويهملوا وجود الرعاية وقد جاء ان أربعة من الملائكة يتجاوبون كل يوم فيقول أحدهم ياليت هذا الخلق لم يخلقوا و يقول الآخر و ياليتهم اذ خلقوا علموا لماذا خلقوا ويقول الآخر و ياليتهم اذ علموا لماذا خلقوا عملوا بما علموا و يقول الرابع وياليتهم اذلم يعملوا بما علموا تابوا مما عملوا فبين الحق تعالى أنه ما خلق العباد لانفسهم انما خلقهم ليعبدوه ويوحدوه فانك لا تشترى عبدا ليخدم نفسه انما تشتريه ليكون لك خادما فهذه الآية حجة على كل عبد اشتغل بحظ نفسه عن حق ربه وبهواه عن طاعة مولاه ولذلك سمع ابراهيم بن أدهم رحمة الله عليه وهو كان سبب توبته لما

خرج متصيدا هاتفا يهتف به من قربوس سرجه يا ابراهيم ألهذا خلقت أم بهذا أمرت ثم سمع الثانية يا ابراهيم ما لهذا خلقت ولا بهذا أمرت فالفقيه من فهم سر الايجاد فعمل له وهذا هو الفقه الحقيقي الذي من أعطيه فقد أعطي المنة العظمى وفيه قال مالك رحمه الله ليس الفقه بكثرة الرواية وانما الفقه نور يضعه الله في القلب * وسمعت شيخنا أبا العباس رحمه الله يقول الفقيه من انفقأ الحجاب عن عيني قلبه فن فقه عن الله سر الايجاد بانه ما أوجده الا لطاعته وما خلقه الا لخدمته كان هذا الفقه منه سببا لزهده في الدنيا واقباله على الأخرى واهماله لحظوظ نفسه واشتغاله بحقوق سيده مفكرا الى المعاد قائما بالاستعداد حتى قال بعضهم لو قيل لي غدا تموت لم أجد مستزادا وقال بعضهم وقد قالت له أمه يا بني مالك لا تأكل الخبز فقال بين مضغ الخبز وأكل الفتيت قراءة خمسين آية فهؤلاء قوم اذهل عقولهم عن هذه الدار ترقب هول المطلع وأهوال يوم القيامة وملاقاة جبار السموات والارض فغيبهم ذلك عن الاستيقاظ الا لهذه الدار والميل الى مسراتها حتى قال بعض العارفين دخلت على بعض المشايخ بالمغرب في داره فقمت لاملأ ماء للوضوء فقام الشيخ ليملأ عني فابيت فابى الا أن يملأ وأمسك طرف الحبل بيده وفي الدار عنده بجانب البئر شجرة تين قد خيمت على الدار فقلت يا سيدي لم لا تربط طرف هذا الحبل بهذه الشجرة فقال أوههنا شجرة ان لي في هذه الدار ستين عاما ما أعرف ان في هذه الدار شجرة * فافهم رحمك الله سمعك لهذه الحكاية وأمثالها اعلم ان لله عبادا أشغلهم به عن كل شئ ولم يشغلهم عنه شئ أذهل عقولهم عظمته وأدهش نفوسهم هيبته فاستقر في أسرارهم وده ومحبته جعلنا الله منهم ولا أخرجنا عنهم ومثل هذه الحكاية كان رجل بالصعيد من الاولياء بمسجد طلب منه أحد من خدمه ان يأخذ جريدة من احدى نخلتين كانتا في المسجد فاذن له فقال يا سيدي من أيهما آخذ من الصفراء أو من الحمراء فقال يا بني ان لي بهذا المسجد أربعين عاما لا أعرف الصفراء من الحمراء * ويحكى عن بعضهم انه كان يعبر عليه أولاده في داره فيقول من هؤلاء أولاد من هؤلاء فيقال له أولادك فكان لا يعرفهم حتى يعرف بهم لاشتغاله بالله تعالى وكان بعض المشايخ يقول في أولاده اذا رآهم هؤلاء الايتام وان كان أبوهم حيا والاسترسال عن هذه اللامعة يخرجنا عن غرض الكتاب * (انعطاف) * لما قال تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون علم سبحانه وتعالى ان لهم بشريات تطالبهم بمقتضاها تشوش عليهم صدق التوجه الى العبودية فضمن لهم الرزق كي لا يتفرغوا لخدمته وكي لا يشتغلوا بطلبه عن عبادته فقال ما أريد منهم من رزق اي ما أريد منهم أن يرزقوا أنفسهم فقد كفيتهم ذلك بحسن كفايتي وبوجود ضماني وما أريد أن يطعمون لاني أنا القوي الصمد الذي لا يطعم ولذلك عقبه بقوله تعالى ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين أي ما أريد منهم أن يرزقوا أنفسهم لاني أنا الرزاق لهم وما أريد أن يطعمون لاني أنا ذو القوة ومن له القوة في ذاته غني عن ان يطعم فتضمنت هذه الآية الضمان للعباد بوجود أرزاقهم لقوله تعالى ان الله هو الرزاق وألزم المؤمنين أن يوحدوه في رزقه وأن لا يضيفوا شيأ منه الى خلقه وأن لا يضيفوا ذلك الى أسبابهم وأن لا يسندوه الى اكتسابهم * وقد قال الراوي أصبح رسول الله عليه السلام في اثر سماء كانت من الليل فقال أتدرون ماذا قال ربكم قلنا

لا يا رسول الله قال قال ربكم أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر بي فأما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب وأما من قال مطرنا بنوء كذا أو بنجم كذا فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب ففي هذا الحديث فائدة عظمى للمؤمنين وبصيرة كبرى للموقنين وتعليم الادب مع رب العالمين ولعل هذا الحديث يكون أيها المؤمن ناهيا لك عن التعرض الى علم الكواكب واقترانانها وما لك ان تدعي وجود تأثيراتها * واعلم ان الله تعالى فيك قضاء لابد ان ينفذه وحكما لابد ان يظهره فما فائدة التجسس على علم علام الغيوب وقد نهانا سبحانه ان نتجسس على عباده فقال ولا تجسسوا فكيف لنا ان نتجسس على غيبه ولقد أحسن من قال

خبراني المنجم اني * كافر بالذي قضته الكواكب
عالم ان ما يكون وما كان * قضاء من المهيمن واجب

(فائدة) اعلم ان مجيء هذه الصيغة على بناء فعال يقتضي المبالغة فيما سيقت له فرزاق ابلغ من رازق لان فعال في باب المبالغة ابلغ من فاعل فيمكن ان تكون هذه المبالغة لتعداد أعيان المرزوقين ويمكن أن تكون تعدد الرزق ويحتمل أن يكون المراد هما جميعا *(فائدة)* أخرى ترجع الى علم البيان * اعلم ان الدلالة على المعنى المقصود به وجود الثناء بالصفة أبلغ من الدلالة عليه بالفعل فقولك زيد محسن أبلغ من قولك زيد يحسن أو قد أحسن وذلك لان الصفة تدل على الثبوت والاستقرار والافعال أصل وضعها التجدد والانقراض فلذلك كان قوله تعالى ان الله هو الرزاق أبلغ من قوله ان الله هو يرزق ولو قال ان الله هو يرزق لم يفد الا اثبات الرزق له ولم يفد حصر ذلك فيه فلما قال ان الله هو الرزاق أفاد ذلك انحصار الرزق فيه فكأنه لما قال ان الله هو الرزاق قد قال لا رزاق الا الله * الآية الثانية في أمر الرزق قوله تعالى الله الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم تضمنت هذه الآية الكريمة فائدتان *(الاولى)* ان الخلق والرزق مقترنان أي كما سلمتم لله بانه الخالق من غير دعوى منكم للخالقية معه فكذلك سلموا له انه الرزاق ولا تدعوا ذلك معه أي كما انفرد فيكم بالخلق والايجاد كذلك هو المنفرد بالرزق والامداد فقرنهما للاحتجاج على العباد ونهيا لهم ان يشهدوا رزقه من غيره واحسانه من خلقه وانه تعالى كما خلق من حيث لا وسائط ولا أسباب كذلك هو الرزاق من غير أن يتوقف رزقه على واسطة أو وجود سبب *(الفائدة الثانية)* انه أفاد تعالى بقوله الله الذي خلقكم ثم رزقكم ان الرزق قد أمضى شأنه وأبرم أمره وليس للقضاء فيه أمر يتجدد في الاحيان ولا يتعاقب بتعاقب الزمان وانما يتجدد ظهوره لا ثبوته والرزق يطلق على قسمين على ما سبق في الازل قضاؤه وعلى ما ظهر بعد وجود العبد ابداؤه والآية تحتمل الوجهين فان كان المراد ما سبقت به الاقدار فثم لترتيب الاخبار وان كان المراد رزق الاظهار فهي تنبيه للاعتبار وسر الآية التي سيقت من أجله اثبات الالوهية لله تعالى كأنه يقول يا من يعبد غير الله الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم فهل تجدون هذه الاوصاف لغيره أم يمكن أن تكون لاحد من خلقه ولمن انفرد بها ينبغي ان يعترف بالالهية ويوحد في ربوبيته ولذلك قال بعد ذلك هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء سبحانه وتعالى عما يشركون * الآية الثالثة في أمر الرزق قوله تعالى وأمر أهلك

بالصلاة واصطبر عليها لا نسألك رزقا نحن نرزقك والعاقبة للتقوى * وفي هذه الآية فوائد *(الاولى)* يجب أن تعلم ان النبي عليه السلام وان كان هو المخاطب بهذه الآية فحكمها وموعدها متعلق بأمته أيضا فكل عبد مقول له وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسألك رزقا نحن نرزقك والعاقبة للتقوى واذ قد فهمت هذا فاعلم أن الله أمرك أيها العبد أن تأمر أهلك بالصلاة لانه كما يجب عليك ان تصل أرحامهم باسباب الدنيا والايثار بها كذلك يجب عليك ان تصلهم بان تهديهم الى طاعة الله تعالى وتجنبهم وجود معصيته وكما كان أهلك أولى ببرك الدنيوي كذلك هم أولى ببرك الاخروي ولانهم رعيتك وقد قال صلى الله عليه وسلم كلكم راع وكلكم مسؤل عن رعيته وقال تعالى في الآية الأخرى وانذر عشيرتك الاقربين كما قال ههنا وأمر أهلك بالصلاة *(الفائدة الثانية)* انظر الى انه تعالى أمره عليه السلام في الآية ان يأمر أهله قبل ان يأمر هو نفسه بالاصطبار عليها ليعلمك ان الآية سيقت للامر بامر الاهل بالصلاة وان غيرهذا انما جاء بطريق التبع وان كان مقصودا في نفسه لكنه لما علم العبد أنه مأمور في نفسه بالصلاة علم الاشك فيه فاراد الحق تعالى ان ينبه العباد على ما علموا ان يهملوه فامر رسوله بذلك ليسمعوا بذلك فيتبعوا فيكونوا الذلك مسارعين على القيام به مثابرين *(تنبيه)* اعلم انه يجب عليك ان تأمر أهلك بالصلاة من زوجة أو أمة أو ابنة أو غير ذلك ولك ان تضربهم على تركها وليس لك عند الله من حجة ان تقول أمرت فلم يسمعوا فلو علموا انه شق عليك ترك الصلاة كما يشق عليك اذا أفسدوا طعاما أو تركوا شيأ من مهمات تلك أمرا ما تركوا بل اعتادوا منك أن تطالبهم بحظوظ نفسك ولا تطالبهم بحقوق الله تعالى فلاجل ذلك أهملوها ومن كان محافظا على الصلاة وعنده أهل لا يصلون وهو غير آمر لهم بها حشر يوم القيامة في زمرة المضيعين للصلاة فان قلت اني أمرتهم فلم يفعلوا ونهيتهم فلم يقبلوا وعاقبتهم على ذلك بالضرب فلم يكونوا له فاعلين فكيف أصنع فالجواب انه ينبغي لك مفارقة من يمكن مفارقته ببيع أو طلاق والاعراض عمن لا يمكن بينونته عنك بذلك وأن تهجرهم في الله فان الهجر في الله يوجب الصلة بة *(الفائدة الثالثة)* قوله تعالى واصطبر عليها فيه اشارة الى أن في الصلاة تكليفا للنفوس شاقا عليها لانها تأتي في أوقات ملاذ العباد وشغلهم فتطالبهم بالخروج عن ذلك كله الى القيام بين يدي الله تعالى والفراغ عما سوى الله لاترى ان صلاة الغداة تأتيهم في وقت منامهم في وقت الذ ما يكون المنام فيه فتطالب الحق منهم ترك حظوظهم لحقوقه ومرادهم لمراده ولذلك كان في نداء الصبح خاصا به الصلاة خير من النوم مرتين وأما صلاة الظهر فانها تأتيهم في وقت قيلولتهم ورجوعهم من تعب أسبابهم وأما صلاة العصر فانها تأتيهم وهم في متاجرهم وصنائعهم منهمكون وعلى أسباب دنياهم مقبلون وأما صلاة المغرب فانها تأتي في وقت تناولهم لاغذيتهم وما يقيمون به وجود بنيتهم وأما صلاة العشاء فانها تاتي وقد كثرت عليهم متاعب الاسباب التي كانوا فيها في بياض نهارهم فلذلك قال سبحانه واصطبر عليها وقال حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقال ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا وقد قال وأقيموا الصلاة ومما يدلك على ان في القيام بالصلاة تكاليف العبودية وان

القيام بها على خلاف ما تقتضيه البشرية قول الله تعالى واستعينوا بالصبر والصلاة وانها لكبيرة الا على الخاشعين فجعل الصبر والصلاة مقترنين اشارة الى أنه محتاج فى الصلاة الى الصبر صبر على ملازمة أوقاتها وصبر على القيام بواجباتها ومسنوناتها وصبر يمنع القلوب فيها من غفلاتها ولذلك قال الله تعالى بعد ذلك وانها لكبيرة الا على الخاشعين فافرد الصلاة بالذكر ولم يفرد الصبر به اذ لو كان كذلك لقال وانه لكبير فذلك يدل على ماقلناه أولان الصبر والصلاة مقترنان متلازمان فكان أحدهما هو عين الآخر كما قال فى الآية الاخرى والله ورسوله أحق أن يرضوه وقال تعالى والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله وقال تعالى واذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا اليها فافهم والصلاة شأنها عظيم وأمرها عند الله جسيم ولذلك قال تعالى ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما سئل أى الاعمال أفضل قال الصلاة لوقتها وقال صلى الله عليه وسلم المصلى يناجى ربه وقال أقرب مايكون العبد من ربه فى السجود ورأينا أن الصلاة اجتمع فيها من العبادات مالم يجتمع فى غيرها منها الطهارة والصمت واستقبال القبلة واستفتاح بالتكبير والقراءة والقيام والركوع والسجود والتسبيح فى الركوع والسجود والدعاء فى السجود الى غير ذلك فهى مجموع عبادات عديدة لان الذكر بمجرده عبادة والقراءة بمجردها عبادة وكذلك التسبيح والدعاء والركوع والسجود والقيام فكل واحد منها بمجرده عبادة ولولا خشية الاطالة لبسطنا الكلام فى أسرارها وشوارق أنوارها وهذه اللمعة ههنا كافية والحمد لله * (الفائدة الرابعة) * قوله تعالى لانسألك رزقا نحن نرزقك أى لانسألك أن ترزق نفسك ولا أهلك وكيف نأمرك بذلك ونكلفك الى أن ترزق نفسك وأنت لاتستطيع ذلك وكيف يحمد بنا أن نأمرك بالخدمة ولا نقوم لك بالقسمة فكانه سبحانه لما علم ان العباد ربما يتشوش عليهم طلب الرزق فى دوام الطاعة ويحجبهم ذلك عن التفرغ للموافقة فخاطب رسوله صلى الله عليه وسلم ليسمعوا المقال وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها لانسألك رزقا نحن نرزقك أى قم بخدمتنا ونحن نقوم لك بقسمتنا وهما شيئان شئ ضمنه الله لك فلا تتهمه وشئ طلب منك فلا تهمله فمن اشتغل بما ضمن له عما طلب منه فقد عظم جهله واتسعت غفلته وقل مايتنبه ان يوقظه بل حقيق على العبد ان يشتغل بما طلب منه عما ضمن له اذا كان سبحانه قد رزق أهل الجحود فكيف لايرزق أهل الشهود واذا كان قد أجرى رزقه على أهل الكفران كيف لايجرى رزقه على أهل الايمان فقد علمت أيها العبد ان الدنيا مضمونة لك مضمون لك منها مايقوم بأودك والآخرة مطلوبة منك أى العمل لها بقوله تعالى وتزودوا فان خير الزاد التقوى فكيف يثبت لك عقل أو بصيرة واهتمامك فيما ضمن لك اقتطعك عن اهتمامك بما طلب منك حتى قال بعضهم ان الله ضمن لنا الدنيا وطلب منا الآخرة فليته ضمن لنا الآخرة وطلب منا الدنيا وأتى قوله تعالى نحن نرزقك على هذه الصيغة ليدل ذلك على الاستقرار والدوام لان قولك أنا أكرمك ليس كقولك أنا أكرمتك لان قولك أنا أكرمك يدل على اكرام بعد اكرام وقولك أنا أكرمتك لايدل الا على ان ثم اكراما كان وقوعه فيما مضى من غير ان يدل على التكرار والدوام فقوله تعالى نحن نرزقك أى رزقا

بعد

بعد رزق لا نعطل عنك منتنا ولا نقطع عنك نعمتنا وكما تفضلنا على العباد بالايجاد فكذلك أيضا نفضنا لهم بدوام الامداد ثم قال تعالى والعاقبة للتقوى كأنه تعالى يقول نحن نعلم اذا تبتلت لخدمتنا وتوجهت لطاعتنا معرضا عن أسباب الدنيا تاركا للدخول فيها والاشتغال بها لا يكون رزقك فيها رزق المترفين ولا عيشك عيش المتوسعين ولكن اصطبر على ذلك فان العاقبة للتقوى كما قال تعالى في أول الآية الاخرى ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى فان قلت لماذا خص التقوى بالعاقبة وأهل التقوى لهم مع العاقبة العيشة الطيبة في الدنيا لقوله تعالى من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة فاعلم انه تعالى يخاطب العباد على حسب عقولهم فكأنه يقول أيها العباد ان نظرتم ان لاهل الغفلة والعدوان بداية فلاهل التقوى والايمان نهاية والعاقبة للتقوى فخاطب العباد على حسب ما تصل اليه عقولهم وتدركه افهامهم كما جاء الله أكبر وان كان غيره لم يشاركه في الكبرياء لكن لما كانت النفوس قد تشهد كبرياء الآثار كما قال تعالى لخلق السموات والارض أكبر من خلق الناس فكأنه يقال لها ان كان ولا بد وشهدت لشئ كبرياء فالله عز وجل أكبر منه وأكبر من كل كبير كما جاء الصلاة خير من النوم فلو قيل ليس في النوم خير قالت النفوس قد أدركت لذاذته وراحته فسلم لها ما أدركت ثم قيل لها ما دعوناك اليه خير مما هو خير عندك الصلاة خير من النوم لان ما ملت اليه من المنام عرض يفنى وما دعوناك اليه معاملة يبقى جزاؤها ما يفنى وما عند الله خير وأبقى (فائدة جليلة) اعلم ان الآية علمت اهل الفهم عن الله كيف يتطلبون رزقه فاذا توقفت عليهم أسباب المعيشة أكثروا من الخدمة والموافقة لان هذه الآية دلتهم على ذلك ألا ترى انه قال تعالى وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسألك رزقا نحن نرزقك فجاء الوعد بالرزق بعد أمرين أحدهما أمر الاهل بالصلاة والآخر الاصطبار عليها ثم بعد ذلك قال نحن نرزقك ففهم أهل المعرفة بالله انه اذا توقفت عليهم أسباب المعيشة قرعوا باب الرزق بمعاملة الرزاق لا كأهل الغفلة والعمى اذا توقفت عليهم أسباب الدنيا ازدادوا كدحا عليها وتهافتا فيها بقلوب غافلة وعقول عن الله ذاهلة وكيف لا يكون اهل الفهم عن الله تعالى كذلك وقد سمعوا الله تعالى يقول وأتوا البيوت من أبوابها فعلموا ان باب الرزق طاعة الرزاق فكيف يطلب منه رزقه بمعصيته أم كيف يستمطر فضله بمخالفته وقد قال عليه السلام انه لا ينال ما عند الله بالسخط أي لا يطلب رزقه الا بالموافقة له وقال سبحانه وتعالى مبينا لذلك ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب وقال تعالى وأن لو استقاموا على الطريقة لاسقيناهم ماء غدقا الى غير ذلك من الآيات الدالة على ان التقوى مفتاح الرزقين رزق الدنيا ورزق الآخرة كما قال تعالى ولو ان أهل الكتاب آمنوا واتقوا لكفرنا عنهم سيئاتهم ولادخلناهم جنات النعيم ولو انهم أقاموا التوراة والانجيل وما أنزل اليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم فبين سبحانه وتعالى انهم لو أقاموا التوراة والانجيل أي عملوا بما فيهما لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم أي لوسعنا عليهم أرزاقهم وأدمنا عليهم انفاقنا لكنهم لم يفعلوا ما نحب فلاجل ذلك لم نفعل بهم ما يحبون * (الآية الرابعة) * في أمر الرزق قوله

تعالى ومامن دابة فى الارض الا على الله رزقها و يعلم مستقرها ومستودعها كل فى كتاب مبين فهذه الآية صرحت بضمان الحق الرزق وقطعت ورود الهواجس والخواطر على قلوب المؤمنين فان وردت على قلوبهم كرت عليها جيوش الايمان بالله والثقة به فهزمتها بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق فقوله تعالى ومامن دابة فى الارض الا على الله رزقها ضمان تكفل به لعباده تعرفا بوداده ولم يكن ذلك واجبا عليه بل أوجبه على نفسه ايجاب كرم وتفضل ثم انه عمم الضمان فكأنه يقول أيها العبد ليست كفالتى ورزقى خاصا بك بل كل دابة فى الارض فانا كافلها ورازقها وموصل اليها قوتها فاعلم بذلك سعة كفالتى وغنى ربوبيتى وان الاشياء لا تخرج عن احاطتى وثق بى كفيلا واتخذنى وكيلا فاذا رأيت تدبيرى لاصناف الحيوان ورعايتى اياها وقيامى بحسن الكفالة بها وأنت أشرف هذا النوع فانت أولى بأن تكون بكفالتى واثقا ولفضلى رامقا الاترى كيف قال تعالى ولقد كرمنا بنى آدم على سائر أجناس الحيوان أى اذ دعوناهم الى خدمتنا ووعدناهم دخول جنتنا وخطبناهم الى حضرتنا وممايوضح لك كرامة الآدمى على غيره من المكونات ان المكونات مخلوقات من أجله وهو مخلوق من أجل حضرة الله تعالى * سمعت شيخنا أبا العباس رحمه الله يقول قال الله سبحانه يا ابن آدم خلقت الاشياء كلها من أجلك وخلقتك من أجلى فلا تشتغل بماهو لك عما أنت له وقال سبحانه وتعالى والارض وضعها للانام وقال تعالى وسخر لكم مافى السموات ومافى الارض جميعا منه وسمعت الشيخ رحمه الله يقول الاكوان كلها اعبيد مسخرة لك وأنت عبيد الحضرة وقال تعالى الله الذى خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن يتنزل الامر بينهن لتعلموا ان الله على كل شئ قدير وان الله قد أحاط بكل شئ علما فقد بين لك ان السموات والارض مخلوقة من أجل ان تعلم أيها الآدمى فاذا علمت أن الاكوان مخلوقة من اجلك اما انتفاعا واما اعتبارا وهو نفع أيضا فينبغى لك ان تعلم ان الله تعالى اذا رزق من هو مخلوق من أجلك كيف لا يكون لك رازقا ألم تسمع كيف قال تعالى وفاكهة وأبا متاعا لكم ولانعامكم وقوله تعالى ويعلم مستقرها ومستودعها تأكيد لانه المتكفل بها أى لا يخفى عليه مكانها ولا ينبهم عليه شأنها بل يعلم مكانها فيوصل اليها ماقسم لها * (الآية الخامسة) * فى شأن الرزق قوله تعالى وفى السماء رزقكم وما توعدون فورب السماء والارض انه لحق مثل ما أنكم تنطقون وهذه الآية هى التى غسلت الشكوك من قلوب المؤمنين واشرقت فى قلوبهم انوار اليقين فاوردت على قلوبهم الزوائد لما تضمنته من الفوائد وذلك انها تضمنت ذكر الرزق ومحله والقسم عليه والتشبيه له بامر لا خفاء به ولنتبع ذكر هذه الفوائد فائدة فائدة * (الفائدة الاولى) * اعلم انه تعالى لما علم كثرة اضطراب النفس فى شأن الرزق كرر ذكره لما تكررت وروده عوارضه على القلوب كما تكرر الحجة اذا علمت ان الشبهة متمكنة فى نفس خصمك كما كرر تعالى الاستدلال على المعاد فى آيات عديدة لما اضطربت فيه الملحدون واستبعدوا ان يعود الانسان بعد ان تمزقت أوصاله واضمحل بناؤه وصار ترابا أو أكلته السباع والهوام فاحتج عليهم فى كتابه العزيز حججا كثيرة منها قوله تعالى وضرب لنا مثلا ونسى خلقه قال من يحيى العظام وهى رميم قل يحييها الذى أنشأها أول مرة وبقوله فى الآية

الاخرى

الاخرى وهو أهون عليه و بقوله تعالى ان الذى أحياها لمحى الموتى الى غير ذلك وكذلك لما علم الحق تعالى شدة اضطراب النفوس فى أمر الرزق أكد الحجة فى ذلك فى آيات عديدة منها ما تقدم ذكره ومنها مالم نذكره فلما علم الحق تعالى ذلك من نفوس العباد قال تارة ان الله هو الرزاق وقال أخرى الله الذى خلقكم ثم رزقكم وقال أخرى نحن نرزقك وقال أخرى أمن هذا الذى يرزقكم ان أمسك رزقه وقال ههنا وفى السماء رزقكم وماتوعدون ليبين محل الرزق فتسكن اليه القلوب وليس الضمان مع ابهام المحل كالضمان مع تبيينه فكانه تعالى يقول لم يكن يجب علينا ان نبين لكم محل رزقكم لكم عندنا رزق نوصله لكم اذا جاء ابانه وليس علينا بيانه ولكن بلطفه ورحمته وفضله ومنته بين محل الرزق ليكون ذلك أبلغ فى ثقة النفوس به وأقوى فى دفع الشك فيه وفيه فائدة أخرى وهو انه تضمن تبيين المحل رفع همم الخلق عن الخلق وأن لا يطلبوا الا من الملك الحق وذلك اذا وقع فى قلبك طمع فى مخلوق أو حوالة على سبب قال لك الحق تعالى وفى السماء رزقكم وماتوعدون أى يا هذا المتطلع للرزق من المخلوق الضعيف العاجز فى الارض ليس رزقك عنده انما رزقك عندى وأنا الملك القادر ولاجل هذا انه لما سمع بعض الاعراب هذه الآية نحر ناقته وخرج فارا الى الله تعالى وهو يقول سبحان الله رزقى فى السماء وأنا أطلبه فى الارض فانظر رحمك الله كيف فهم عن الله ان مراده بهذه الآية أن يدفع همم عباده اليه وأن يكون رغبتهم فيما لديه كما قال فى الآية الاخرى وان من شئ الا عندنا خزائنه وماننزله الا بقدر معلوم ليتحاش الهمم الى بابه وانجمع القلوب الى جنابه فكن رحمك الله سماويا علويا ولا تكن سفليا أرضيا ولذلك قال بعضهم

اذا أعطشتك اكف اللئام * كفتك القناعة شبعا وريا

فكن رجلا جسمه فى الثرى * وهامة همته فى الثريا

فان اراقة ماء الحياة * دون اراقة ماء المحيا

وسمعت شيخنا أبا العباس رحمه الله يقول والله مارأيت العز الا فى رفع الهمم عن الخلق واذكر أيها الاخ رحمك الله ههنا قوله تعالى ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين لمن العزة التى أعز الله بها المؤمن رفع همته الى مولاه وثقته به دون ماسواه واستح من الله أن تكون بعد ان كساك حلة الايمان وزينك بزينة العرفان ان تستولى عليك الغفلة والنسيان حتى تميل الى الاكوان أو تطلب من غيره وجود احسان ولذلك قال بعضهم

ابعد نفوذى فى علوم الحقائق * وبعد انبساطى فى مواهب خالقى

وفى حين اشراقى على ملكوته * أرى باسطا كفى الى غير رازقى

فان كفتك النفس الغافلة عن مولاها بان ترفع حاجتك الى المخلوقين فارفعها الى من يرفع ذلك المخلوق حاجته اليه وهين على النفس ان تهين ايمانك لتحصيل هواها وان تذلك لتبلغ مناها كما قال بعضهم

تكلفت اذلال نفسى لعزها * وهان عليها ان أهان لتكرما

تقول سل المعروف يحيى بن اكثم * فقلت سليه رب يحيى بن اكثما

وقبيح بالمؤمن أن ينزل حاجته بغير الله مع علمه بوحدانيته وانفراده بربوبيته ويسمع قوله تعالى أليس الله بكاف عبده وذلك من كل أحد قبيح ومن المؤمن أقبح وليذكر قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود ومن العقود التي عاقدته عليها أن لا ترفع حوائجك الا اليه ولا تتوكل الا عليه وذلك لازم اقرارك له بالربوبية يوم المقادير يوم ألست بربكم قالوا بلى فكيف تعرفه وتوحده هنالك وتجهله هنا وقد تواتر عليك احسانه وغمرك فضله وامتنانه كما قال بعضهم

في القلب لكم منزلة عليه * لا تسكنها سعداء ولا لبناء
في الذر عرفتكم فهل يجمل بي * ان أنكركم والخلق شمطاء

ورفع الهمة عن الخلق هو ميزان الفقراء ومسبار الرجال وكما توزن الذوات كذلك توزن الاحوال والصفات وأقيموا الوزن بالقسط فيظهر الصادق بصدقه والمدعي بملقه وما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب وقد ابتلى الله بحكمته ووجود منته الفقراء الذين ليسوا بصادقين بالظهار ما كتموا من الرغبة وأسروا من الشهوة فابتذلوا أنفسهم لأبناء الدنيا مباسطين لهم ملايمين لهم موافقين لهم على مآربهم مدفوعين على أبوابهم فترى الواحد منهم يتزين كما تتزين العروس مفتونون باصلاح ظواهرهم غافلون عن اصلاح سرائرهم ولقد وسمهم الحق سبحانه وتعالى بسمة كشف بها عوارهم وأظهر أخبارهم فبعد ان كان نسبته ان لو صدق مع الله أن يقال فيه عبد الكبير فاخرج عن هذه النسبة بعدم صدقه فصار يقال فيه شيخ الامير أولئك الكذابون على الله الصادون للعباد عن صحبة أولياء الله لان ما يشهده العموم منهم يحسبونه على كل منتسب الى الله صادق وغير صادق فهم حجب أهل التحقيق وسحب شموس أهل التوفيق ضربوا طبولهم ونشروا أعلامهم ولبسوا دروعهم فاذا وقعت الحملة ولوا على أعقابهم ناكصين ألسنتهم منطلقة بالدعوى وقلوبهم خالية من التقوى ألم يسمعوا قوله تعالى ليسأل الصادقين عن صدقهم أترى اذا سأل الصادقين أيترك المدعين من غير سؤال ألم يسمعوا قول الله تعالى وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون فهم في الظاهر زي الصادقين وعملهم عمل المعرضين كما قيل

أما الخيام فانها كخيامهم * وأرى نساء الحي غير نسائها
لا والذي حجت قريش بيته * مستقبلين الركن من بطحائها
ما أبصرت عيني خيام قبيلة * الا بكيت أحبتي بفنائها

فقد علمت رحمك الله ان رفع الهمة عن الخلق هو زينة أهل الطريق وسمة أهل التحقيق ولنا في هذا المعنى

بكرت تلوم على زمان أجحفا * فصدفت عنها علها ان تصدفا
لا تكثري عتبا لدهرك انه * ما ان يطالب بالوفاء ولا الصفا
ماضرني ان كنت فيه خاملا * فالبدر بدر ان بدا أو ان خفا
الله يعلم انني ذو همة * تأبى الدنايا عفة وتظرفا

لم

لولا أصون عن الورى ديباجتي * وأريهم عز الملوك وأشرفا
أأريهم أني الفقير اليهم * وجميعهم لا يستطيع تصرفا
أم كيف أسأل رزقه من خلقه * هذا لعمري ان فعلت هو الجفا
شكوى الضعيف الى ضعيف مثله * عجز أقام بحامليه على شفا
فاسترزق الله الذي احسانه * عم البرية منة وتلطفا
والجأ اليه تجده فيما ترتجي * لا تعد عن أبوابه متحرفا

(الفائدة الثانية) يحتمل أن يكون قوله سبحانه وتعالى وفي السماء رزقكم ان يكون المراد اثبات رزقكم أي اثباته في اللوح المحفوظ فان كان المراد كذلك فهو تطمين للعباد واعلام لهم ان رزقكم أي الشيء الذي منه رزقكم كتبناه عندنا وأثبتناه في كتابنا وقضيناه بآياتنا من قبل وجودكم وعيناه من قبل ظهوركم فلاي شيء تضطربون ومالكم الى لا تسكنون وبوعدي لا تثقون ويحتمل أن يكون المراد وفي السماء رزقكم أي الشيء الذي منه رزقكم وهو الماء كما قال تعالى وجعلنا من الماء كل شيء حي أفلا يؤمنون وكذلك قال ابن عباس رضي الله عنه هو المطر فيكون قوله وفي السماء رزقكم أي الشيء الذي منه أصل رزقكم ولان الماء في نفسه رزق *(الفائدة الثالثة)* يمكن أن يكون مراد الحق سبحانه وتعالى بهذه الآية تعجيز العباد عن دعوى القدرة على الاسباب لان الله تعالى لو أمسك الماء عن الارض لتعطل سبب كل ذي سبب من حارث وزارع وتاجر وخائط وكاتب وغير ذلك فكأنه يقول ليست أسبابكم هي الرازقة لكم ولكن أنا الرازق لكم وبيدي تيسير أسبابكم لاني أنا المنزل لكم ما به كانت أسبابكم وتمت أكسابكم *(الفائدة الرابعة)* في اقتران الرزق بالامر الموعود فائدة جليلة وذلك ان المؤمنين لما علموا ان ما وعدهم الحق لابد من كونه ولا قدرة لهم على تعجيله ولا تأجيله ولا حيلة لهم في جلبه فكأنه سبحانه وتعالى يقول كما لا شك عندكم ان عندنا ما توعدون كذلك لا يكن عندكم شك في ان عندنا ما ترزقون وكما انكم على استعجال ما وعدناقبل وقته عاجزون كذلك أنتم عاجزون عن أن تستعجلوا رزقا أجلته ربوبيتنا ووقته الاهيتنا *(الفائدة الخامسة)* قوله سبحانه وتعالى فورب السماء والارض انه لحق مثل ما انكم تنطقون في ذلك حجة عظيمة على العباد أن يكون الوفي لوعده الذي لا يخلف الميعاد يقسم للعباد على ما ضمن لهم لعلمه بما النفوس منطوية عليه من الشك والاضطراب ووجود الارتياب فلذلك قالت الملائكة حين سمعت هذه الآية هلكت بنو آدم أغضبوا ربهم الجليل حتى أقسم وقال بعضهم حين سمع هذه الآية سبحان الله من الجأ الكريم الى القسم ومن علمت ثقته بك لم تحتج الى القسم معه واذا علمت اضطرابه في وعدك أقسمت له فهذه الآية سرت أقواما وأخجلت آخرين أما الذين سرتهم فهم الذين في المقام الاول اذ زيد بها ايمانهم ورسخ بها ايقانهم فينتصروا بها على وساوس الشيطان وشكوك النفس وأما الذين أخجلتهم فانهم علموا ان الحق سبحانه وتعالى علم منهم عدم الثقة ووجود الاضطراب فاقامهم مقام أهل الشك فاقسم لهم فأخجلهم ذلك حياء منه وذلك عما أفادهم الفهم عنه ورب شيء واحد أوجب سرور أقوام وحزن آخرين على حسب تفاضل الافهام

وواردات الالهام ألم تر أنه لما أنزل قوله تعالى اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا فرح بها الصحابة وحزن بها أبو بكر رضي الله عنهم أجمعين لانه فهم منها نعي رسول الله صلى الله عليه وسلم فبكى وأخذ من ذلك أن الشيء اذا استتم خيف عليه من التراجع الى وجود النقصان كما قال

اذا تم شيء دنا نقصه * توقع زوالا اذا قيل تم
اذا كنت في نعمة فارعها * فان المعاصي تزيل النعم

وعلم ان الامر لا يتقاصر مادام الرسول عليه السلام حيا وفرح الصحابة رضي الله عنهم لظاهر البشارة التي فيها ولم ينفذوا لما نفذ اليه أبو بكر رضي الله عنه فظهر لذلك سر قوله صلى الله عليه وسلم ما سبقكم أبو بكر بصوم ولا صلاة ولكن بشيء وقر في صدره والذي كان سابقا هو بعينه الذي أوجب أن يفهم مالم يفهم غيره ومثل ذلك قوله سبحانه وتعالى ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بان لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وسمعت الشيخ أبا محمد المرجاني رحمه الله يقول قوم سمعوا هذه الآية الكريمة فاستبشروا بهذه المبايعة فابيضت وجوههم سرورا بها اذ أهلهم الحق أن يشتري منهم واذ أجل أقدارهم اذ رضيهم للشراء وسرورا بالثمن الجليل والثواب الجزيل وقوم اصفرت وجوههم خجلا من الله اذ اشترى منهم ماهو مالكه فلولا أنه علم منهم وجود الدعوى الكامنة في أنفسهم ودعوى المالكية منهم لما قال ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم فكان للذين ابيضت وجوههم جنتان من فضة آنيتهما ومافيهما وكان للذين اصفرت وجوههم جنتان من ذهب آنيتهما ومافيهما انتهى كلام الشيخ فلو سلم المؤمنون من بقايا المنازعة ما أوقع عليهم مبايعة ولذلك قال الله تعالى ان الله اشترى من المؤمنين ولم يقل من الانبياء والمرسلين ولذلك قال الشيخ أبو الحسن رحمه الله النفوس على ثلاثة أقسام نفس لا تشترى لخستها ونفس تشترى لكرامتها ونفس لا يقع عليها الشراء لثبوت حريتها (فالاول) نفوس الكافرين لا يقع عليها الشراء لخستها (والثاني) نفوس المؤمنين وقع عليها الشراء لكرامتها (والثالث) نفوس الانبياء والمرسلين لم يقع عليها الشراء لثبوت حريتها ﴿الفائدة السادسة﴾ وهو انه تعالى أقسم بالربوبية الكافلة للسماء والارض ولم يقسم بغيرها من الاسماء وذلك لان الربوبية الكافلة للسماء والارض لا ينبغي أن يشك في التقة بها ومن شأنها كفالة هذا العالم العظيم الذي أنت فيه واذا نسبت اليه كنت كلا شيء موجود فيه فذلك أبلغ في وجود الثقة من أن يقول قول السميع أو العليم أو الرحمن أو غير ذلك من الاسماء فافهم ﴿الفائدة السابعة﴾ قوله سبحانه وتعالى فورب السماء والارض انه لحق والحق هو ضد الباطل والباطل هو المعدوم الذي لا ثبات له والرزق حق كما أن الرزاق حق والشك في الرزق شك في الرزاق حتى كان بعضهم ينبش المقابر ثم تاب فقال لبعض العارفين نبشت ألف قبر فوجدتهم كلهم وجوههم محولة عن القبلة فقال عارف ذلك الزمان انما حول وجوههم عن القبلة تهمة الرزق * (الفائدة الثامنة) * قوله تعالى مثل ما انكم تنطقون تأكيد في اثبات الرزق وتقرير لحقيقته وانه لا ينبغي أن يرتاب فيه مؤمن ولا يشك فيه موقن وان ثبوته تشهد بصائر القلوب

كثبوت

كثبوت المنطق الظاهر بمشاهد الابصار فنقل المعنى الى الصورة ومثل الغيب بالشهادة وقطع شك العباد فى أمر الرزق أى فكما انكم تنطقون لا تشكون فى ذلك لما أثبته العيان كذلك لا ترتابوا فى أمر الرزق فقد أثبته نور الايمان فانظر رحمك الله اعتناء الحق سبحانه وتعالى بأمر الرزق وتكراره له وتبيين مواطنه وتنظيره وتمثيله بالامور المحسوسة التى لا يرتاب فيها شاهدها واقسامه على ذلك بالربوبية المحيطة بالسماء والارض وكذلك تكرر فى كلام صاحب الشرع صلوات الله عليه فقال ان روح القدس نفث فى روعى ان نفسا لن تموت حتى تستكمل رزقها فاتقوا الله واجملوا فى الطلب وقال عليه السلام لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا وقال عليه السلام لطالب العلم تكفل الله برزقه الى غير ذلك من الاحاديث الواردة فى ذلك * (فائدة) * اعلم انه لا ينافى التوكل على الله فى أمر الرزق وجود السبب كما أشار اليه رسول الله عليه السلام لانه قال فاتقوا الله واجملوا فى الطلب فقد أباح الطلب ولو كان منافيا لمقام التوكل على الله لما أباحه لانه لم يقل لا تطلبوا انما قال اجملوا فى الطلب فكانه قال اذا طلبتم فاطلبوا مجملين أى كونوا مع الله فى الطلب متأدبين واليه مفوضين فقد أباح صلوات الله عليه وسلامه وجود الطلب والطلب من الاسباب وقد سبق قوله عليه السلام أحل ما أكل المرء من كسب يمينه الى غير ذلك من الاحاديث الدالة على جواز الاسباب بل على الحث عليها والندب اليها وفى الاسباب فوائد منها ان الحق تعالى علم ضعف قلوب العباد وقصورهم عن مشاهدة القسمة وعجزهم عن صدق الثقة فاباح لهم الاسباب اسنادا لقلوبهم وتثبيتا لنفوسهم فكان ذلك من فضله عليهم *(الفائدة الثانية)* ان فى الاسباب صيانة للوجوه عن الابتذال بالسؤال وحفظا لبهجة الايمان ان تزول بالطلب من الخلق لما يعطيك الله من الاسباب فلا منة فيه لمخلوق عليك اذ لا يمن عليك أحد ان اشترى منك أو استأجرك على عمل شئ فانه فى حظه سعى وبنفع نفسه قصد فالسبب أخذ منه بغير منة *(الفائدة الثالثة)* ان فى شغل العباد باسبابهم شغلا عن معصيته والتفرغ الى مخالفته ألا تراهم اذا تعطلت أسبابهم فى أعيادهم وغيرها كيف يتفرغ أهل الغفلة لمخالفة الله تعالى و ينهمكون فى معصية الله فكان شغلهم بالاسباب رحمة من الله عليهم *(الفائدة الرابعة)* ان فى الاسباب والقيام بها رحمة بالمتجردين ومنة من الله على المتوجهين لطاعته والمتفرغين لها ولولا قيام أهل الاسباب بها فكيف كان يصح لصاحب الخلوة خلوته ولصاحب المجاهدة مجاهدته فجعل الحق تعالى الاسباب كالخدمة للمتوجهين اليه والمقبلين عليه *(الفائدة الخامسة)* ان الحق تعالى أراد من المؤمنين أن يأتلفوا لقوله تعالى انما المؤمنون اخوة فكانت الاسباب سببا لتعارفهم وموجبة لتوادهم ولا ينكر الاسباب الا جاهل أو عبد عن الله غافل ولم يبلغنا ان رسول الله عليه السلام لما دعا الناس الى الله أمرهم بالخروج عن أسبابهم ولكن أقرهم على ما يرضاه الله منها ودعاهم الى وجود الهدى والقرآن والسنة محشوان باثبات الاسباب ولقد أحسن من قال

ألم تر ان الله قال لمريم * اليك فهزى الجذع يساقط الرطب
ولو شاء أدنى الجذع من غير هزها * اليها ولكن كل شئ له سبب

اشارة الى قوله تعالى وهزى اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا وظاهر صلوات الله عليه
بين درعين يوم أحد وأكل عليه الصلاة والسلام القثاء بالرطب وقال هذا يدفع ضرر هذا
وذلك كثير وفى قوله صلى الله عليه وسلم تغدوا خماصا وتروح بطانا اثبات الاسباب أيضا لان
غدوها ورواحها سبب أقيمت فيه فهو كغدو الآدميين الى مكاسبهم ورواحهم اليها والقول
الفصل فى ذلك انه لا بد لك من الاسباب وجودا ولا بد لك من الغيبة عنها شهودا فاثبتها من حيث
أثبتها بحكمته ولا تستند اليها لعلمك باحديته فان قلت فما هو الاجمال فى الطلب فى قوله عليه
السلام فاتقوا الله واجملوا فى الطلب فاعلم ان الاجمال فى الطلب يحتمل وجوها كثيرة ونحن
نذكر لك منها ما فتح الله به بفضله فاعلم رحمك الله ان الطالب للرزق على قسمين عبد يطلبه
منهمكا عليه ومتوجها بكل همته اليه وذلك مما يصرف وجهته عن الله لان الهمة اذا توجهت
لشئ انصرفت عما عداه قال الشيخ أبو مدين رحمه الله ليس للقلب الا وجهة واحدة ان وجهته
اليها انصرف عن غيرها وقد قال الحق سبحانه وتعالى ما جعل الله لرجل من قلبين فى جوفه أى
ما جعل له من وجهتين فى وقت واحد وذلك لضعف البشرية عن التوجه الى وجهتين فما توجه
انسان الى وجهتين الا ويقع الخلل فى احدى الوجهتين والتسليم بالاوجه كلها فى الوقت
الواحد من غير أن يقع فى شئ منها خلل انما ذلك من شأن الالاهية ولذلك قال سبحانه وتعالى
وهو الذى فى السماء اله وفى الارض اله فافاد بذلك انه متوجه لاهل السماء ولاهل الارض
لا يشغله توجهه لاهل السماء عن توجهه لاهل الارض ولا توجهه لاهل الارض عن توجهه
لاهل السماء ولا شئ عن شئ فلذلك كرر سبحانه وتعالى ذكر الالاهية فى الآية ولو لم يكررها
لم يفد ذلك من هذا اللفظ بل عما هو جبه ما هو الحق عليه سبحانه فتبين لك من هذا ان من طلب
الرزق مكبا عليه مشتغلا عن الله تعالى به فليس مجملا فى الطلب ومن طلبه على غير ذلك
فهو مجمل وجه ثان وهو ان الاجمال فى الطلب أن يطلب من الله تعالى ولا يعين قدرا ولا سببا
ولا وقتا فيرزقه الحق ما شاء كيف شاء فى أى وقت شاء وذلك من حسن الادب فى الطلب ومن
طلب وعين قدرا أو سببا أو وقتا فقد تحكم على ربه وأحاطت الغفلة بقلبه ويحكى عن بعضهم
انه كان يقول وددت لو أنى تركت الاسباب وأعطيت كل يوم رغيفين يريد بذلك ان يستريح
من تعب الاسباب قال فسجنت ثم كنت فى السجن يؤتى لى كل يوم برغيفين فطال ذلك على حتى
تضجرت ففكرت يوما فى أمرى فقيل لى انك طلبت منا كل يوم رغيفين ولم تطلب منا العافية
فاعطيناك ما طلبت فاستغفرت الله من ذلك ورجعت الى الله فاذا بباب السجن يقرع فتخلصت
وخرجت فتأدب بهذا أيها المؤمن ولا تطلب ان يخرجك من أمر ويدخلك فيما سواه اذا
كان ما أنت فيه مما يوافق لسان العلم فان ذلك من سوء الادب مع الله فاصبر لئلا تطلب الخروج
بنفسك فتعطى ما طلبت وتمنع الراحة فيه فرب تارك سببا وداخل فى غيره ليجد الثروة والراحة
فاتعب وقوبل بوجود التعسر عقوبة لوجود الاختيار وفى كلام كتبناه فى غير هذا الكتاب
طلبك للتجريد مع اقامة الله اياك فى الاسباب من الشهوة الخفية وطلبك الاسباب مع اقامة
الله اياك فى التجريد انحطاط عن الهمة العلية فافهم رحمك الله ان من شأن هذا العدو
أن يأتيك فيما أنت فيه مما أقامك الله فيه فيحقره عندك لتطلب غير ما أقامك الله فيه

فيتشوش قلبك ويتكدر وقتك وذلك انه يأتي للمتسببين فيقول لو تركتم الاسباب وتجردتم لاشرقت لكم الانوار ولصفت منكم القلوب والاسرار فانه كذلك صنع فلان وفلان ويكون هذا العبد ليس مقصودا بالتجريد ولا طاقة له به وانما صلاحه في الاسباب فيتركها فيتزلزل ايمانه ويذهب ايقانه ويتوجه الى الطلب من الخلق والى الاهتمام بأمر الرزق فيرمي في بحر القطيعة وذلك قصد العدو منه لانه انما يأتيك في صورة ناصح اذ لو أتاك في غيرها لم تقبل منه كما أتى آدم وحواء عليهما السلام في صورة ناصح وقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين كما تقدم بيانه وقاسمهما اني لكما لمن الناصحين كما تقدم بيانه وكذلك يأتي للمتجردين ويقول لهم الى متى تتركون الاسباب ألم تعلموا ان ترك الاسباب تتطلع معه القلوب الى ما في أيدي الناس ويفتح باب الطمع ولا يمكنك الاسعاف ولا الايثار ولا القيام بالحقوق وعوض ما تكون منتظرا ما يفتح به عليك من الخلق فلو دخلت في الاسباب بقي غيرك منتظرا ما يفتح عليه منك الى غير ذلك ويكون هذا العبد قد طاب وقته وانبسط نوره ووجد الراحة بالانقطاع عن الخلق فلا يزال به حتى يعود الى الاسباب فتصيبه كدرتها وتغشاه ظلمتها ويعود الدائم في سببه أحسن حالا منه لان ذلك ما سلك طريقا ثم رجع عنها ولا قصد مقصدا ثم انعطف عنه فافهم واعتصم بالله منه ومن يعتصم بالله فقد هدى الى صراط مستقيم وانما قصد الشيطان بذلك ان يمنع العباد من الرضا عن الله فيما هم فيه وان يخرجهم عما اختاره الله تعالى لهم الى مختارهم لانفسهم وما أدخلك الله تعالى فيه تولى اعانتك عليه وما دخلت فيه بنفسك وكلك اليه وقل رب أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا فالمدخل الصدق ان تدخل فيه لا بنفسك والمخرج الصدق أيضا كذلك فافهم والذي يقتضيه الحق منك أن تمكث حيث أقامك حتى يكون الحق تعالى هو الذي يتولى اخراجك كما تولى ادخالك وليس الشأن أن تترك السبب انما الشأن أن يتركك السبب قال بعضهم تركت السبب كذا كذا مرة فعدت اليه ثم تركني السبب فلم أعد اليه ودخلت على الشيخ أبي العباس المرسي وفي نفسي العزم على التجريد قائلا في نفسي ان الوصول الى الله تعالى على هذه الحالة بعيد من الاشتغال بالعلم الظاهر ووجود المخالطة للناس فقال لي من غير أن أسأله صحبني انسان مشتغل بالعلوم الظاهرة وهو متصدر فيها فذاق من هذه الطريق شيأ فجاء الي فقال يا سيدي أخرج عما أنا فيه واتفرغ لصحبتك فقلت له ليس الشأن ذا ولكن امكث فيما أنت فيه وما قسم الله لك على أيدينا فهو اليك واصل ثم قال الشيخ ونظر الي وقال هكذا شأن الصديقين لا يخرجون عن شئ حتى يكون الحق تعالى هو الذي يتولى اخراجهم فخرجت من عنده وقد غسل الله تعالى من قلبي تلك الخواطر ووجدت الراحة بالتسليم الى الله ولكنهم كما قال رسول الله عليه السلام هم القوم لا يشقى بهم جليسهم *(وجه ثالث)* وقد يكون الاجمال في الطلب أن تطلب من الله تعالى ويكون قصدك مناجاته لا عين ما طلبت وانما يكون الطلب توسلا لها ولذلك قال الشيخ أبو الحسن رحمه الله لا يكن همك في دعائك الظفر بقضاء حاجتك فتكون محجوبا عن ربك وليكن همك مناجاة مولاك وقيل ان موسى عليه السلام كان يطوف في بني

اسرائيل وبقول من يحمانى رسالة الى ربى وذلك لتطول مناجاته مع الله تعالى (وجه رابع)
وقد يكون الاجمال فى الطلب أن تطلب وأنت تشهد انك مطلوب بما قسم لك وانك مقصود
به وليس طلبك موصلا اليه فيكون طلبك وأنت غريق فى بحر العجز مغموس فى وجود الفاقة
وقد يكون الاجمال فى الطلب أن لا تطلب بحظ البشرية ولكن لاظهار العبودية كما حكى
ان سمنون المحب رحمه الله كان يقول

وليس لى فى سواك حظ * فكيفما شئت فاختبرنى

فابتلى بعلة الاسر وهو احتباس البول فصبر وتجلد فطاوله ذلك فصبر وتجلد الى أن جاءه بعض
أصحابه فقال يا استاذى سمعتك البارحة وأنت تطلب من الله الشفاء والعافية ولم يكن هو
طالب ثم جاء ثان ثم جاء ثالث ثم جاء رابع فعلم ان مراد الحق منه اظهار الحاجة والعافية فسأل
من الله الشفاء ثم صار يدور على صبيان المكاتب ويقول ادعوا لعمكم الكذاب (وجه
خامس) وقد يكون الاجمال فى الطلب أن تطلب من الله ما يكفيك ولا تطلب منه ما يطغيك
غير متطلع الى ما سوى الكفاية بالشره ولا منبسطا اليه بالرغبة وقد علمنا ذلك رسول الله عليه
السلام اذ قال اللهم اجعل قوت آل محمد كفافا والطالب لما زاد على الكفاية ملوم وطالب
الكفاية غير ملوم لذلك جاء فى الحديث عنه صلى الله عليه وسلم ولا تلام على كفاف ويكفيك
فى ذلك ما قال رسول الله لثعلبة بن حاطب لما قال يا رسول الله ادع الله أن يرزقنى مالا فقال رسول
الله عليه السلام يا ثعلبة بن حاطب قليل تؤدى شكره خير من كثير لا تطيقه فكرر عليه ثعلبة
فاعاد عليه السلام ما قال أولا قليل تؤدى شكره خير من كثير لا تطيقه فما زال الى أن دعا
له رسول الله عليه السلام بما اختار لنفسه فكان عاقبة اختياره لنفسه ومخالفته لمختار رسول
الله عليه السلام أن كثر ماله حتى تعطل عن بعض الصلوات أن يصليها خلف رسول الله عليه
السلام ثم كثر ماله حتى تعطل عن الصلوات أن يصليها مع رسول الله عليه السلام الا صلاة
الجمعة ثم كثرت أغنامه ومواشيه حتى لم يمكنه صلاة الجمعة أيضا ثم جاءه مصدق رسول الله عليه
السلام يأخذ منه الزكاة فقال ما أراها الا الجزية أو أخت الجزية وامتنع من دفع الزكاة وقصته
مشهورة فانزل الله تعالى فيه ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من
الصالحين فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون فاعقبهم نفاقا فى قلوبهم الى يوم يلقونه
بما اخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون * (وجه سادس) * وقد يكون الاجمال فى الطلب
أن يطلب العبد حظوظ دنياه قال تعالى فمن الناس من يقول ربنا آتنا فى الدنيا وماله فى الآخرة
من خلاق ومنهم من يقول ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار
(وجه سابع) وقد يكون الاجمال فى الطلب أن يكون طلبك غير شاك فى القسمة ولا تاركا
حفظ الحرمة * (وجه ثامن) * وقد يكون الاجمال فى الطلب أن تطلب ولا تستعجل الاجابة
وغير الاجمال ان تستعجلها وقد نهى النبى عليه السلام عن ذلك بقوله يستجاب لاحدكم ما لم
يقل دعوت فلم يستجب لى وقد دعا موسى وهرون عليهما السلام على فرعون فيما حكاه الله
تعالى عنهما بقوله ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب
الاليم فقال سبحانه وتعالى قد أجيبت دعوتكما فاستقيما ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون

وكان

وكان بين قول الله تعالى انهما قد أجيبت دعوتكما واهلاك فرعون أربعون عاما قال الشيخ أبو الحسن رحمه الله في قوله سبحانه وتعالى فاستقيما أي على عدم استعجال ما طلبتما ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون قال هم المستعجلون الاجابة *(وجه تاسع)* وقد يكون الاجمال في الطلب أن يطلب وهو شاكر لله تعالى ان أعطي وشاهد حسن اختياره به اذا منع فرب طالب لا يشكر ان أعطي ولا يشهد حسن اختياره به في المنع بل طالب من الله جازم ان المصلحة له أن يعطى ومن أين لهذا العبد الجاهل أن يحكم على علم الله وأن يعلم ما فيه غيب الله وكفى بالعبد جهلا أن يتخير على مولاه بل اذا سأله فسأله مفوضا اليه غير مدبر معه ولا مختار عليه وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة هذا فيما أبهم أمره * والبيان في ذلك ان المدعو به على ثلاثة أقسام ماهو خير قطعا فاطلبه من الله تعالى من غير استثناء كالايمان وجميع الطاعات وماهو شر قطعا فاطلب من الله السلامة منه من غير استثناء كالكفر والمعصية وماهو مبهم الامر كالغنى والعز والرفعة فاطلب ذلك من الله تعالى قائلا ان علمت ذلك خيرا لي كذلك سمعته من الشيخ رحمه الله *(وجه عاشر)* وقد يكون الاجمال في الطلب ان يكونوا في الطلب على سابق قسمته معتمدين ولا يكونوا الى طلبهم مستندين وقد يكون الاجمال في الطلب أن يطلبوا وهم لعدم الاستحقاق شاهدون فاولئك حري بهم ان يستوجبوا منة رب العالمين قال الشيخ أبو الحسن رحمه الله ما طلبت من الله شيأ الا وقدمت اساءتي أمامي يريد رحمه الله حتى لا يطلب من الله بوصف يستحق العطاء بل لا يكون طلبه وجوده الا بفضله * فهذه عشرة أوجه في الاجمال في الطلب وليس القصد بها الحصر اذ الامر أوسع من ذلك ولكن بحسب ما ناول الغيب وأنعم به المولى سبحانه وتعالى وهو كلام صاحب الانوار المحيطة لها يأخذ الآخذ منه الاعلى حسب نوره ولا يأخذ من جواهر بحره الاعلى قدر قوة غوصه وكل يفهم على حسب المقام الذي أقيم فيه تسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الاكل وما لم يأخذوه أكثر مما أخذوا واسمع قوله عليه السلام وأوتيت جوامع الكلم واختصر لي الكلام اختصارا فلو عبر العلماء بالله أبد الآباد عن أسرار الكلمة الواحدة من كلامه لم يحيطوا بها علما ولم يقدروها فهما حتى قال بعضهم عملت بهذا الحديث سبعين عاما وما فرغت منه وهو قوله عليه السلام من حسن اسلام المرء تركه مالا يعنيه وصدق رضي الله عنه ولو مكث عمر الدنيا أجمع وأبد الآباد لم يفرغ من حقوق هذا الحديث وما أودع فيه من غرائب العلوم وأسرار الفهوم *(انعطاف)* انظر الى قوله صلى الله عليه وسلم لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا تراه يدل على الامر بالتوكل على الله تعالى لا على نفي الاسباب بل يدل على اثباتها لقوله عليه السلام تغدو خماصا وتروح بطانا فقد أثبت لها غدوها ورواحها وهو سببها ونفي عنها الادخار فكأنه صلى الله عليه وسلم يقول لو توكلتم على الله حق توكله لما ادخرتم ولاغناكم التوكل على الله عن الادخار معه ورزقتم كما يرزق الطير تؤتى برزق يوم ولا تدخر لغد ثقة منها بأن الله تعالى لا يضيعها فانتم أيها المؤمنون أولى بذلك فافاد عليه السلام ان الادخار انما هو من ضعف اليقين * فان قلت أكل ادخار هذا حكمه أوهو مختلف الحال * فاعلم ان الادخار على

ثلاثة أقسام ادخار الظالمين وادخار المقتصدين وادخار السابقين فاما القسم الاول فهم المدخرون بخلا واستكثارا المسكون مباهاة وافتخارا فقد استحكمت الغفلة على قلوبهم واستولى الشره على نفوسهم فهم لا تفرغ من الدنيا همتهم ولا تتوجه الى غيرها همتهم الثابت فقرهم وان كانوا أغنياء الظاهر ذلهم وان كانوا اعزاء فهم من الدنيا لا يشبعون وعن طلبها الا يفترون تلاعبت بهم الاسباب وتفرقت بهم الارباب أولئك كالانعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون لم يبق في قلوبهم متسع لوعي الحكمة واستماع الموعظة فقل أن ترفع أعمالهم أو تزكى أحوالهم لان خوف الفقر قد سكن قلوبهم وقد قال صلى الله عليه وسلم من سكن خوف الفقر قلبه قل ما يرفع له عمل فيجب على المؤمن المعافى مما هم فيه داخلون والسالم مما هم فيه منصرفون والمتطهر مما هم به متدنسون أن يحمد الله تعالى على ما خصه به من افضاله وأنعم به عليه من نواله وقل اذا رأيتهم الحمد لله الذي عافاني مما ابتلاهم به وفضلني على كثير ممن خلق تفضيلا كما انك اذا رأيت مصابا في بدنه حمدت الله الذي عافاك وشهدت ما أنعم به عليك مولاك كذلك يجب عليك واحرى أن تشكر الله اذا عافاك من أسباب الدنيا والخوض فيها وابتلى بذلك غيرك وأن لا تحقرهم بل اجعل عوض احتقارك بهم رحمتك بهم وعوض دعائك عليهم دعاءك لهم واقتد بما فعل العارف بالله معروف رحمه الله فيما فعله هو وعين المعروف عبره هو وأصحابه على دجلة فرأى أصحابه سمارية فيها قوم أهل لهو وفسوق وطرب فقالوا يا أستاذ ادع الله عليهم فرفع يديه وقال اللهم كما فرحتهم في الدنيا فرحهم في الآخرة فقالوا يا أستاذ انما قلنا لك ادع عليهم فقال اذا فرحهم في الآخرة تاب عليهم ولا يضركم من ذلك شيء فالصقت السمارية في الوقت الى البر ونزل الرجال ناحية والنساء ناحية فتطهر هؤلاء وهؤلاء وخرجوا الى الله تائبين فكان منهم زهاد وعباد ببركات دعوة معروف فاذا نظرت أهل التخليط والاساءة فاعلم انه محكوم عليهم بسابق العلم ونافذ المشيئة وان لم تفعل خيف عليك أن تبتلى بمثل محنتهم وأن تقطع كقطيعتهم واسمع ما قال الشيخ أبو الحسن رحمه الله أكرم المؤمنين وان كانوا عصاة فاسقين وأمرهم بالمعروف وانههم عن المنكر واهجرهم رحمة بهم لا تعززا عليهم * وقال رحمة الله عليه لو كشف عن نور المؤمن العاصي لطبق ما بين السماء والارض فما ظنك بنور المؤمن المطيع ويكفيك في تعظيم المؤمنين وان كانوا عن الله غافلين قول رب العالمين ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله فانظر كيف أثبت لهم الاصطفاء مع وجود ظلمهم ولم يجعل ظلمهم مخرجا لهم عن اصطفائيته ولا من وراثة كتابه واصطفاهم بالايمان وان كانوا ظالمين بوجود العصيان فسبحان الواسع الرحمة والعظيم المنة * واعلم انه لا بد في مملكته من عباد هم نصيب الحلم ومحل ظهور الرحمة والمغفرة ووقوع الشفاعة وافهم ما قال رسول الله عليه السلام والذي نفسي بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم وجاء بقوم يذنبون فيستغفرون الله فيغفر لهم وقوله عليه السلام شفاعتي لاهل الكبائر من أمتي * وجاء رجل الى الشيخ أبي الحسن رحمه الله فقال يا سيدي كان البارحة بجوارنا من المنكرات كيت وكيت وظهر من ذلك الرجل استغراب أن يكون هذا فقال يا هذا كانك تريد أن لا يعصى الله في مملكته من أحب أن

لا يعصى

لا يعصى الله فى مملكته فقد أحب أن لا تظهر مغفرته وأن لا تكون شفاعة رسول الله عليه السلام انتهى كلام الشيخ وكم من مذنب كثرة اساءته وزلة مخالفته أوجبت له الرحمة من ربه فكن له راجيا وبقدر ايمانه وان عصى حاليا *(القسم الثانى)* من أقسام الادخار ادخار المقتصدين وهم الذين لم يدخروا استكثارا ولا مباهاة ولا افتخارا انما علموا من نفوسهم الاضطراب عند الفقر فعلموا انهم ان لم يدخروا تشوش عليهم ايمانهم وتزلزل ايقانهم فادخروا لضعفهم عن حال المتوكلين وعلما منهم بعجزهم عن مقام اليقين وقد قال رسول الله عليه السلام المؤمن القوى خير عند الله من المؤمن الضعيف وفى كل خير * فالمؤمن القوى هو الذى أشرق فى قلبه نور اليقين فعلم ان الله تعالى سائق اليه رزقه ادخر أولم يدخر وانه ان لم يدخر ادخر له الحق تعالى وان المدخرين محالون على مدخراتهم وأهل التوكل محالون على الله لا على شئ دونه فالمؤمن القوى من لم يستند الى الاسباب سواء كان فيها أولم يكن والمؤمن الضعيف الداخل فى الاسباب مع المراكنة والخارج عنها مع التطلع اليها *(القسم الثالث)* بالنسبة الى الادخار وعدمه السابقون وهم الذين سبقوا الى الله لتخلص قلوبهم مما سواه فلم تعقهم العوائق ولم تشغلهم عن الله العلائق فسبقوا الى الله اذ لا مانع لهم وانما منع العباد من السبق الى الله تعالى جواذب التعلق بغير الله فكلما همت قلوبهم أن ترحل الى الله جذبها ذلك التعلق الى ما به تعلقت فكرت راجعة اليه ومقبلة عليه فالحضرة محرمة على من هذا وصفه وممنوعة عمن هذا نعته * قال بعض العارفين أتظن أن تدخل الى الحضرة الالاهية وشئ من ورائك يجذبك وافهم ههنا قوله سبحانه يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم وان القلب السليم هو الذى لا تعلق له بشئ دون الله تعالى وقوله سبحانه وتعالى ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة يفهم منه أيضا أنه لا يصح مجيئك الى الله تعالى بالوصول اليه الا اذا كنت فردا مما سواه وقوله تعالى ألم يجدك يتيما فآوى يفهم منه أنه لا يأويك اليه الا اذا صح يتمك مما سواه وقوله عليه السلام ان الله وتر يحب الوتر أى يحب القلب الذى لا يشفع بمشوبات الآثار فكانت هذه القلوب لله وبالله تركوا الله يتصرف لهم فلم يكلهم الى أنفسهم ولم يدعهم لتدبيرهم فهم أهل الحضرة المفاتحون بعين المنة لا تقطعهم عن الله محاسن الآثار ولا تشغلهم عنه بهجة الحسن المعار * ولنا فى هذا المعنى

يا بهجة الحسن التى ما مثلها * من بهجة طرحت على الاكوان
لى فيك معنى ما تبدى سره * الا انثنى طرفى ومد عنانى

وقال بعضهم لو كلفت أن أرى غيره لم أستطع لانه لا غير معه حتى أشهده معه وهذا حال أقوام تولتهم الرعاية وا كتنفتهم العناية فاى تدبير لهؤلاء أم كيف يمكن هؤلاء أن يكونوا من المدخرين وهم فى حضرة رب العالمين وان ادخروا لم يكونوا على ما ادخروه معتمدين أم كيف يمكنهم أن يكونوا الى سواه مستندين وهم لوجود الاحدية مشاهدون * قال الشيخ أبو الحسن الشاذلى رحمه الله قوى على الشهود مرة فسألته أن يستر ذلك عنى فقيل لو سألته بما سأله موسى كليمه وعيسى روحه ومحمد صفيه لم يفعل ولكن سله أن يقويك فسألته فقوانى فمن كان هذا حاله فكيف يحتاج الى الادخار أم كيف يمكنه أن يستند الى الاغيار وكفى بالمؤمن أن يدخر ايمانا

بالله وثقته به وتوكلا عليه وأهل الفهم عن الله توكلوا على الله فكان هو المدخر لهم واستحفظوه
فكان هو الحافظ لهم وكانوا له وبه فكيف كان بمعونته لهم فكفاهم ما أهمهم وصرف عنهم
ما أغمهم اشتغلوا بما أمرهم عما ضمن لهم علما منهم بأنه لا يكلهم اليه ومن فضله لا يمنعهم فدخلوا
في الراحة ووقعوا في جنة التسليم ولذاذة التفويض فرفع الله بذلك مقدارهم وكمل أنوارهم
ويحق أن يرفع المحاسبة عنهم بفضله كما قال رسول الله عليه السلام سبعون ألفا من أمتي
يدخلون الجنة بغير حساب قيل من هم يا رسول الله قال هم الذين لا يرقون ولا يسترقون
ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون وكيف يحاسب من لا شئ له أم كيف يسأل عن فعله من شهد
انه لا فعل له وانما يحاسب المدعون ويناقش الغافلون الذين يشهدون أنهم مالكون أو مع الله
فاعلون ومن لم يدخر ثقة بالله وتوكلا عليه ساق الله رزقه بوجود الهنا وأوجد في قلبه وجود
الغنى * أفلس بعض العارفين فقال لزوجته أخرجي كل ما في البيت فتصدقي به ففعلت الا الرحا
فانها قالت لعلنا نحتاج اليها ولا نجد مثلها فهي قد فعلت واذا بالباب قد دق فقيل هذا قمح
أرسل الى الشيخ فملأت الدار قمحا فلما رجع العارف ونظر قال أخرجت كل ما في البيت قالت
نعم قال وليس الأمر كذلك فقالت ما تركت الا الرحا خيفة أن نحتاج اليها فقال لو أخرجت
الرحا لجاءك دقيق ولكن أبقيتها فجاءك ما به تتعبين فان ادخر السابقون فلا لأنفسهم ولكن
ادخار أمانة لانهم خزان أمناء وعبيد كبراء ان أمسكوا الدنيا أمسكوها بحق وان بذلوها بذلوها
بحق وليس الممسك لها بحق بدون الباذل لها بحق ولا يشهدون أنهم مع الله مالكون بل ما في
أيديهم يشهدونه من ودائع الله ويتصرفون فيها بالنيابة عن الله سمعوا قوله تعالى وانفقوا
مما جعلكم مستخلفين فيه فعلموا انه لا ملك لهم مع الله وانما هي نسبة أضيفت اليك واضافة
منة من بها عليك ليرى كيف تعمل وهو العليم الخبير أتقف مع ظاهرها أم تنفذ الى أسرارها
ولذلك كان الانبياء عليهم السلام لا تجب عليهم الزكاة لانهم لا ملك لهم مع الله حتى تجب عليهم
الزكاة فيه وانما تجب عليك زكاة ما أنت له مالك انما يشهدون ما في أيديهم من ودائع الله تعالى
لهم يبذلونه في أوان بذله ويمنعونه من غير محله ولان الزكاة انما هي طهرة لما عساه أن يكون
ممن وجبت عليه لقوله تعالى خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها والانبياء عليهم
السلام مبرؤن من الدنس لوجود العصمة ولاجل ذلك لم يوجب أبو حنيفة رحمه الله على
الصبيان زكاة لعدم دنس المخالفة والمخالفة لا تكون الا بعد جريان التكليف وذلك بعد
البلوغ وافهم ههنا قوله صلى الله عليه وسلم نحن معاشر الانبياء لا نورث ما تركناه صدقة يتبين
لك ما ذكرناه ويتضح ما قررناه واذا كان أهل المعرفة بالله تعالى المشاهدون لاحديته
لا يشهدون لهم مع الله ملكا فما ظنك بالانبياء والرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وأهل
التوحيد والمعرفة انما غرفوا من بحارهم واقتبسوا من أنوارهم * يحكى أن الشافعي وأحمد
رحمهما الله كانا جالسين اذ أقبل شيبان الراعي رحمه الله فقال أحمد للشافعي أريد أن أسأل
هذا المشار اليه في هذا الزمن فقال الشافعي لا تفعل فقال لابد من ذلك فقال يا شيبان
ما تقول فيمن نسي أربع سجدات من أربع ركعات فقال يا أحمد هذا قلب غافل عن الله عز
وجل يجب أن يؤدب حتى لا يعود الى مثل ذلك فخر أحمد مغشيا عليه ثم أفاق ثم سأله فقال

ما تقول فيمن له أربعون شاة ماذا كاتها فقال على مذهبنا أو مذهبكم فقال وهما مذهبان قال نعم قال أما على مذهبكم ففي الاربعين شاة شاة وأما على مذهبنا فالعبد لا يملك مع سيده شيأ وقد جاء في الحديث ان النبي عليه السلام ادخر قوت سنة فاما أن يكون ذلك لما قلناه أولا من ان ادخار الانبياء عليهم السلام انما هو امساك بالامانة مختارين له وقتا يصلح انفاقه وانما ادخر رسول الله عليه السلام لاجل عائلته أو ليبين جواز الادخار لامته فانه اذا لم تقع الحوالة عليه لا ينافي التوكل ومما يدلك على ان المراد انما كان ليبين جوازه انه كان عليه السلام اغلب أحواله عدم الادخار وانما ادخر توسعة على أمته ورحمة بهم واشفاقا على الضعفاء منهم اذ لو لم يدخر لم يكن لمؤمن أن يدخر بعده ففعل ذلك ليبين حكمه وقد قال عليه السلام اني لا نسى أو انسى لاسن فبين لك صلى الله عليه وسلم ان النسيان ليس من شأنه ولا من وصفه وانما يدخل فيه ليبين حكمه وما يتعلق به لامته فافهم الحديث *(فائدة)* قوله عليه السلام طالب العلم تكفل الله برزقه اعلم أن العلم حيثما تكرر في الكتاب العزيز أو في السنة انما المراد به العلم النافع الذي تقارنه الخشية وتكتنفه المخافة قال الله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء فبين ان الخشية تلازم العلم وفهم من هذا ان العلماء انما هم أهل الخشية وكذلك قوله تعالى قال الذين أوتوا العلم والراسخون في العلم وقل رب زدني علما وقوله عليه السلام ان الملائكة لتضع اجنحتها لطالب العلم وقوله عليه السلام العلماء ورثة الانبياء وقوله ههنا طالب العلم تكفل الله برزقه انما المراد بالعلم في هذا الموطن العلم النافع القاهر للهوى القامع وذلك متعين بالضرورة لان كلام الله تعالى وكلام رسول الله عليه السلام أجل من ان يحمل على غير هذا وقد بينا ذلك في غير هذا الكتاب والعلم النافع هو الذي يستعان به على طاعة الله تعالى و يلزمك المخافة من الله تعالى والوقوف على حدود الله وهو علم المعرفة بالله و يشمل العلم النافع العلم بالله والعلم بما به أمر الله اذا كان تعلمه لله فقوله عليه السلام طالب العلم تكفل الله برزقه أي تكفل له ان يوصله له مع الهناء والعزة والسلامة من الحجبة وانما أولنا هذا التأويل وان معنى التكفل تكفل خاص وذلك لان الحق سبحانه وتعالى متكفل برزق العباد اجمع طلبوا هذا العلم أو لم يطلبوه فدل على ان هذه الكفالة كفالة خاصة كما ذكرنا لانه أفردها بالذكر * ولهذا المعنى قال الشيخ أبو العباس في حزبه لما قال واعطنا كذا وكذا قال والرزق الهني الذي لا حجاب به في الدنيا ولا سؤال ولا حساب ولا عقاب عليه في الآخرة على بساط علم التوحيد والشرع سالمين من الهوى والشهوة والطبع *فسأل من الله الرزق الهني وهو الرزق المتكفل به لطالب العلم ثم فسر الرزق الهني بانه الذي لا حجاب معه في الدنيا ولا حساب له في الآخرة لان ما وقعت فيه الحجبة فلا هناء فيه اذ الحجبة توجب تكسر السر بالمنع عن المحاضرة والصد عن المفاتحة لا على ما يفهمه العموم من أن الرزق الهني الذي حصل من غير وجود تعب ولا نصب فالهناء عند أهل الغفلة فيما يرجع الى الابدان وعند أهل الفهم فيما يرجع الى القلوب ووقوع الحجبة في الرزق اما بشهود الغفلة والاسباب عن الله تعالى واما بان يتناوله وليس قصدك التقوى على طاعة الله تعالى فالاول حجبة في الحصول والثاني حجبة في التناول وقول الشيخ ولا سؤال ولا حساب ولا عقاب عليه في الآخرة فالسؤال يكون عن

حقوق النعم لقوله تعالى ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم وأكل النبي عليه السلام وبعض أصحابه طعاما ثم قال والله لتسئلن عن نعيم هذا اليوم وكان الشيخ رحمه الله يقول السؤال على قسمين سؤال تشريف وسؤال تعنيف فسؤال أهل الموافقة والعناية سؤال التشريف وسؤال أهل الغفلة عن الله والاعراض عنه سؤال التعنيف وافهم رحمك الله ان الحق سبحانه وتعالى انما يسأل أهل الصدق وان كان هو العالم باخبارهم ويخفي أسرارهم ليظهر مرتبة صدقهم للعباد وينشر محاسنهم في المعاد كما يقول السيد لعبده ماذا صنعت في أمر كذا وكذا وهو يعلم أنه أحكمه وأتقنه ولكن أراد أن يعلم الحاضرون اعتناءه بامره وقيامه وعنايته بشأنه فافهم (وقول الشيخ رحمه الله) ولا حساب فالحساب هو نتيجة السؤال واذا سلموا من السؤال سلموا من الحساب واذا سلموا من السؤال والحساب سلموا من المعاقبة فذكرها الشيخ رحمه الله وان كانت ملازمة ليتبين ما يستلزم هذا الرزق من المنن التي لو انفردت واحدة منها لكان حريا أن تطلب وقول الشيخ رحمه الله على بساط علم التوحيد أي على ان أشهدك فيما رزقتني وأراك فيما أطعمتني فلا أشهد ذلك من غيرك ولا أضيفه لاحد من خلقك وكذلك أهل الله لا يأكلون الا على مائدة الله أطعمهم من أطعمهم لعلمهم ان غير الله تعالى لا يملك معه شيأ فيسقط بذلك شهود الخلق عن قلوبهم فلم يصرفوا الغير الله حبهم ولا وجهوا المن سواه ودهم اذ رأوا انه هو الذي أطعمهم ومنحهم من فضله وأكرمهم * قال الشيخ أبو الحسن رحمه الله يوما انا نحن لا نحب الا الله تعالى أي لا يتوجه الحب منا الى الخلق فقال له رجل قد ابى ذلك جدك يا سيدي بقوله عليه السلام جبلت القلوب على حب من أحسن اليها فقال نعم نحن قوم لا نرى المحسن الا الله تعالى فلذلك جبلت قلوبنا على محبته ومن رأى ان المطعم هو الله سبحانه وتعالى تجدد عنده مزيد الحب على حسب ما يتجدد من تناول النعم لقوله عليه السلام أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمه وقدس بقيانه ومن رأى ان الله هو المطعم له صانته هذه المطالعة عن الذل للخلق أو أن يميل قلبه بالحب لغير الملك الحق لم تسمع قول ابراهيم الخليل عليه السلام والذي هو يطعمني ويسقيني فشهد لله تعالى بانفراده بذلك واعترف له تعالى بوحدانيته فيه (وقول) الشيخ رحمه الله على بساط علم التوحيد والشرع لان من استرسل من اطلاق التوحيد ورأى ان الملك لله وان لا ملك لغيره معه ولم يتقيد بظواهر الشريعة فقد قذف به في بحر الزندقة وعاد حاله بالوبال عليه ولكن الشأن أن يكون بالحقيقة مؤيدا وبالشريعة مقيدا وكذلك المحقق فلا انطلاقا مع الحقيقة ولا وقوفا مع ظاهر اسناد الشريعة وكان بين ذلك قواما فالوقوف مع ظواهر الاسناد شرك والانطلاق مع الحقيقة من غير تقييد بالشريعة تعطيل ومقام أهل الهداية فيما بين ذلك من بين فرث ودم لبنا خالصا سائغا للشاربين

* فصل * واعلم أنه يرد في شأن الرزق أمور ويعرض فيه عوارض وقد ذكر الشيخ رحمه الله كثيرا منها بقوله ويسر لي أمر هذا الرزق واعصمني من الحرص والتعب في طلبه ومن شغل القلب وتعلق الهم به ومن الذل للخلق بسببه ومن التفكر والتدبير في تحصيله ومن الشح والبخل بعد حصوله وليس العوارض الواردة في شأن الرزق بمحصورة حتى تستوفي فلنتكلم على ما قال الشيخ رحمه الله * فاعلم ان للعبد بالنسبة الى الرزق ثلاثة أحوال حال قبل أن يرزقه

وهي

وهي حالة السعي وحال بعد ذلك وهي حالة الحصول وحال بعد انقضائه وهي الحالة الثالثة فاما ما يعرض قبل حصوله فالحرص والتعب في طلبه وشغل القلب وتعلق الهم به والذل للخلق وبسببه والتفكر والتدبير في تحصيله فاما الحرص فهو الرغبة القائمة بالنفس في التحصيل له والانكباب على ذلك وهو ينشأ عن فقدان الثقة وضعف اليقين وهما ناشئان عن فقدان النور وفقدان النور ناشئ عن وجود الحجبة اذ لو كان القلب بانوار المشاهدة معمورا وبمنن الله مغمورا لم تطرقه طوارق الحرص ولو انبسط نور اليقين على القلب لكشف له عن سابق القسمة فلم يمكنه الحرص وعلم العبد أن له عند الله قسمة لابد أن يوصلها اليه وأما التعب في طلبه فاما ان يكون تعب الظواهر ويكون الاستعاذة منه الى الله تعالى لانه اذا استولى على الطالب للرزق التعب في الظاهر شغله ذلك عن القيام بالاوامر والرزق مع الراحة فيه اعانة على التفرغ الى طاعة الله تعالى والقيام بخدمته وان كان التعب هو تعب القلوب لا تعب الظواهر فهو أولى بأن يستعاذ منه وذلك لان القلوب يتعبها تكلفها في طلب الرزق والفكرة فيه ويثقلها ما حملت من ذلك ولا راحة لها الا بالتوكل على الله لان المتوكل على الله وضع أثقاله والله تعالى يحملها عنه لقوله تعالى ومن يتوكل على الله فهو حسبه * ثم قال الشيخ رضي الله عنه ومن شغل القلب وتعلق الهم به فشغل القلب بامر الرزق قاطع عظيم حتى قال الشيخ أبو الحسن رحمه الله أكثر ما حجب الخلق عن الله تعالى شيآن هم الرزق وخوف الخلق وهم الرزق أشد الحجابين وذلك ان أكثر الناس قد يخلو من هم خوف الخلق ولا يخلو من هم الرزق الا قليل لا سيما وشاهد الفاقة قائم بوجودك وأنت مفتقر الى ما يقيم بنيتك ويشد قوتك (وقوله) وتعلق الهم به أي تعلق الهمة بأمر الرزق توجها واستغراقا حتى لا يبقى فيه متسع لغيره وهذه حالة توجب القطيعة وتكسف أنوار الوصلة وتنادي على صاحبها بخراب قلبه من نور اليقين وفلسه من القوة والتمكين (وقوله) ومن الذل للخلق بسببه فاعلم ان من ضعف يقينه وقل من قسمة العقل نصيبه فالذلة لازمة له لطمعه في الخلق ولعدم ثقته بالملك الحق وذلك لانه لم يشهد سابق قسمة الله تعالى ولم يظفر بصدق وعده فذل للخلق متملقا ولجأ اليهم متعلقا وذلك عقوبة الغفلة عن الله تعالى ولعذاب الآخر أشد ولو صح ايمانه وثقته بالله لكان بذلك عزيزا ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين فعزة المؤمن بربه لا يعتز بغيره لعلمه ان العزة لله جميعا وانه العزيز فلا عز بزمعه والعز فلا معز معه فأعزته الثقة ونصره التوكل فلم يكن لصدق ثقته بربه في قسمته ولم يحزن لاعتماده عليه في وجود منته مساعما قوله تعالى ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الاعلون ان كنتم مؤمنين فعزة المؤمن بترك الطمع في الخلق ووجود الثقة بالملك الحق أبى له ايمانه أن يرفع حاجته لغير ربه أو أن يصرف لما سواه قلبه ولذلك قال بعضهم

حرام على من وحد الله ربه * وأفرده أن يجتدي احدا رفدا
ويا صاحبي قف لي مع الحق وقفة * أموت بها وجدا وأحيا بها وجدا
وقل للملوك الارض تجهد جهدها * فذا الملك ملك لا يباع ولا يهدى

ومن حرره الله من رق الطمع وأعزه بوجود الورع فقد أجزل عليه منته وكمل عليه نعمته واعلم ان الله قد كساك أيها المؤمن خلعا عديدة منها خلعة الايمان والمعرفة

والطاعة والسنة فلا تدنسها بالطمع في المخلوقين وبالاستناد الى غير رب العالمين قال الشيخ أبو الحسن رحمه الله رأيت النبي عليه السلام في المنام فقال لي يا علي طهر ثيابك من الدنس تحظ بمدد الله في كل نفس فقلت يا رسول الله وما ثيابي فقال اعلم ان الله تعالى كساك حلة الايمان وحلة المعرفة وحلة التوحيد وحلة المحبة قال ففهمت حينئذ قوله تعالى وثيابك فطهر فمن عرف الله صغر لديه كل شئ ومن أحب الله هان عليه كل شئ ومن وحد الله لم يشرك به شيأ ومن آمن بالله أمن من كل شئ ومن أسلم لله قل ما يعصيه وان عصاه اعتذر اليه وان اعتذر اليه قبل عذره واعلم رحمك الله ان رفع الهمة السالكي طريق الآخرة عن الخلق وعدم التعرض لهم أزين لهم من الحلى للعروس وهم أحوج اليه من الماء لحياة النفوس ومن خلعت عليه خلعة الملك فحفظها وصانها فحرى أن تدام له وأن لا تسلب عنه والمدنس لخلع المواهب فحرى أن لا تترك له فلا تدنس أيها الاخ ايمانك بطمعك في المخلوقين ولا تجعلن اعتمادك الا على رب العالمين فان اعتززت بالله دام عزك بدوام من اعتززت به وان اعتززت بغيره فلا بقاء لعزك اذ لا بقاء لمن أنت به معتز أنشدني بعض الفضلاء لنفسه

ليكن بربك كل عزك يستقر ويثبت
فان اعتززت بمن يمو * ت فان عزك ميت

ودخل انسان على بعض العارفين وهو يبكي فقال ما شأنك قال مات استاذي فقال له ذلك العارف ولم جعلت استاذك من يموت ويقال لك اذا اعتززت بغير الله فقدته واذا استندت الى غيره عدمته وانظر الى الهك الذي ظلت عليه عاكفا لنحرقنه ثم لننسفنه في اليم نسفا انما الهكم الله الذي لا اله الا هو وسع كل شئ علما وكن أيها العبد ابراهيميا فقد قال أبوك ابراهيم صلوات الله عليه وسلامه لا أحب الآفلين وما سوى الله تعالى آفل اما وجودا واما امكانا وقد قال الله تعالى ملة أبيكم ابراهيم أي اتبعوا ملة أبيكم ابراهيم فواجب على المؤمن أن يتبع ملة ابراهيم ومن ملة ابراهيم رفع الهمة عن الخلق فانه يوم زج به في المنجنيق تعرض له جبرائيل عليه السلام فقال أما اليك فلا واما الى الله فبلى قال سله قال حسبي من سؤالي علمه بحالي فانظر كيف رفع ابراهيم صلوات الله عليه وسلامه همته عن الخلق ووجهها الى الملك الحق فلم يستغث بجبرائيل ولا احتال على السؤال من الله تعالى بل رأى الحق أقرب اليه من جبرائيل ومن سؤاله فلذلك سلمه من النمرود ونكاله وأنعم عليه بنواله وافضاله وخصه بوجود اقباله ومن ملة ابراهيم معاداة كل ما شغل عن الله وصرف الهمة بالرد الى الله تعالى لقوله فانهم عدو لي الا رب العالمين والغنى ان أردت الدلالة عليه فهو في اليأس من الناس ولقد قال الشيخ أبو الحسن رحمه الله أيست من نفع نفسي لنفسي فكيف لا أيأس من نفع غيري لنفسي ورجوت الله لغيري فكيف لا أرجوه لنفسي وهذا هو الكيمياء والاكسير الذي من حصل له حصل له غنى لا فاقة فيه وعز لا ذل معه وانفاق لا نفاد له وهو كيمياء أهل الفهم عن الله تعالى قال الشيخ أبو الحسن رحمه الله صحبني انسان وكان ثقيلا علي فبسطته فانبسط فقلت له يا ولدي ما حاجتك ولم صحبتني قال يا سيدي قيل لي انك تعلم الكيمياء فصحبتك لأتعلم منك فقلت له صدقت وصدق من حدثك ولكن اخالك أن لا تقبل فقال بلى أقبل فقلت له نظرت الى الخلق

فوجدتهم

فوجدتهم على قسمين أعداء وأحباء فنظرت الى الاعداء فعلمت أنهم لا يستطيعون أن يشوكوني بشوكة لم يردني الله بها فقطعت نظري عنهم ثم تعلقت بالاحباء فرأيتهم لا يستطيعون أن ينفعوني بشئ لم يردني الله به فقطعت اياسي منهم وتعلقت بالله تعالى فقيل لي انك لن تصل الى حقيقة هذا الامر حتى لا تشك فينا وتيأس من غيرنا أن يعطيك غير ما قسمناه لك وقال مرة أخرى رحمه الله لما سئل عن الكيمياء فقال أخرج الطمع من قلبك واقطع بأسك من ربك أن يعطيك غير ما قسم لك وليس يدل على شعار العبد كثرة عمله ولا مداومته على ورده وانما يدل على نوره غناه بربه وانحياشه اليه بقلبه وتحرزه من رق الطمع وتحليه بحلية الورع وبذلك تحسن الاعمال وتزكو الاحوال قال الله تعالى انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا فحسن الاعمال انما هو بالفهم عن الله والفهم هو ما ذكرناه من الاغتناء بالله والاكتفاء به والاعتماد عليه ورفع الحوائج اليه والدوام بين يديه وكل ذلك من ثمرة الفهم عن الله تعالى وتفقد وجود الورع من نفسك أكثر مما تتفقد مما سواه وتطهر من الطمع في الخلق فلو تطهر الطامع فيهم بسبعة أبحر ما طهره الا اليأس منهم ورفع الهمة عنهم وقدم علي بن أبي طالب رضي الله عنه البصرة فدخل جامعها فوجد القصاص يقصون فأقامهم حتى جاء الى الحسن البصري فقال يا فتى اني سائلك عن شئ فان أجبت عنه أبقيتك والا أقمتك كما أقمت أصحابك وكان قد رآى عليه سمتا وهديا فقال الحسن سل عما شئت فقال له علي رضي الله عنه ما ملاك الدين قال الورع قال فما فساد الدين قال الطمع قال اجلس فمثلك من يتكلم على الناس * وسمعت شيخنا أبا العباس رحمه الله يقول كنت في ابتداء أمري بثغر الاسكندرية جئت الى بعض من يعرفني فاشتريت منه حاجة بنصف درهم ثم قلت في نفسي لعله لا يأخذه مني فهتف بي هاتف السلامة في الدين بترك الطمع في المخلوقين وسمعته يقول صاحب الطمع لا يشبع أبدا ألا ترى حروفه كلها مجوفة الطاء والميم والعين فعليك أيها المريد برفع همتك عن الخلق ولا تمل لهم في شأن الرزق فقد سبقت قسمته وجود ولك وتقدم ثبوته ظهورك واسمع ما قال بعض المشايخ أيها الرجل ما قدر لماضغيك أن يمضغاه فلابد أن يمضغاه فكله ويحك بعز ولا تأكله بذل اعلم ان من عرف الله وثق بضمانه وكفالته وانه لا يكمل فهم العبد حتى يكون بما في يد الله أوثق منه بما في يديه وبضمان الحق أوثق منه بضمان الخلق ويكفيك جهلا أن لا تكون كذلك ورآى بعضهم رجلا يلازم الجامع ولا يخرج عنه فتعجب من ملازمته وفكر في نفسه من أين يأكل فقال له يوما من أين تأكل فقال له ذلك الرجل ان لي صاحبا يهوديا وعدني كل يوم برغيفين فهو يأتيني بهما فقال له ذلك العارف يا مسكين وثقت لي بوعد يهودي وما وثقت لي بوعد الله سبحانه وتعالى وهو الصادق الوعد الذي لا يخلف الميعاد وقد قال تعالى وما من دابة في الارض الا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها فاستحيا منه ذلك الرجل وذهب * وعن آخر انه صلى خلف امام اياما فقال له الامام يوما وقد تعجب من ملازمته المسجد وتركه الاسباب من أين تأكل فقال قف حتى أعيد صلاتي فاني لا أصلي خلف من شك في الله والحكايات في هذا كثيرة * قيل لعلي بن أبي طالب

رضى الله عنه لو ان انسانا أدخل بيتا وطين ذلك البيت عليه من اين يأتيه رزقه فقال يأتيه
رزقه من حيث يأتيه أجله فانظر هذه الحكمة ما أبهرها وهذه البينة ما أظهرها (وقول) الشيخ
رحمه الله ومن التفكر والتدبير في تحصيله فالتفكر ان تستحضر في نفسك انه لابد لك من
غذاء يقيم بنيتك والتدبير أن تقول هو من وجه كذا اوكذا الولكن هو من وجه كذا اوكذا
و يكثر ذلك و يتردد على القلب حتى لا تدري ان كنت مصليا ماذا صليت أو تاليا ماذا تلوت
فتتكدر عليك تلك الطاعة التي أنت فيها وتحرم أنوارها وتمنع أسرارها فاذا ورد عليك
ذلك فاهدم بناءه بمعاص الثقة وذكه بوجود اليقين واعلم رحمك الله ان الله تعالى قد تولى تدبيرك
من قبل أن تكون وانك ان أردت نصح نفسك فلا تدبر اما فالتدبير منك انما اضرار بها
اذ ذلك مما أوجب اهمالك عليك و يمنع امداد اللطف أن يصل اليك والمؤمن لا يدعه الحق
سبحانه وتعالى لوجود التدبير ولا المنازعة المقادير فان عرض ذلك عليك أو خطر فلا تثبت له
فان نور الايمان لا يدعه لذلك وكان حقا علينا نصر المؤمنين بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه
فاذا هو زاهق (وقول) الشيخ رحمه الله ومن الشح والبخل بعد حصوله فهذان من العوارض بعد
الحصول وهما ينشآن عن ضعف اليقين وعدم الثقة فحينئذ يكون الشح و يقع البخل وقد ذم
الله تعالى الشح والبخل كليهما في كتابه العزيز فقال تعالى ومن يوق شح نفسه فأولئك
هم المفلحون فمفهومه ان صاحب الشح لا فلاح له أي لا نور له والفلاح هو النور وقال تعالى في
وصف المنافقين أشحة على الخير أولئك لم يؤمنوا فاحبط الله أعمالهم وقال تعالى ومنهم من
عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين فلما آتاهم من فضله بخلوا به
وتولوا وهم معرضون وقال تعالى ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه والبخل والشح يطلق على
أقسام ثلاثة *(الاول)* أن تبخل بما في يدك أن تبذله في واجبات الله تعالى *(الثاني)*
أن تبخل به ولم يتعلق بك الوجوب على عباد الله *(الثالث)* أن تبخل بنفسك أن تبذلها لله
تعالى فالبخل الاول هو ان تبخل فلا تؤتي الزكاة وقد خوطبت بها أولا تقوم بحق وقد تعين عليك
من نفقات الابوين في فقرهما والاولاد في فقرهم وصغرهم وكنفقات الزوجات و بالجملة فكل
حق أوجب الله عليك القيام به فتخلفك عنه مما يطلق عليك لسان الذم وتستحق به العقوبة
وفي ذلك جاء قوله تعالى والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم
بعذاب أليم قال أهل العلم الكنز هو المال الذي لا تؤدى زكاته فاذا أديت زكاته لا يكون كنزا
معناه لا يدخل تحت هذا الوعيد ولا يطلق عليه لسان الذم *القسم الثاني البخل بالبذل فيما
لم يتعلق به الوجوب كمن أخرج زكاة ماله ثم لم يبذل منه شيأ بعد ذلك وهذا وان كان قد فعل
ما أمره الله تعالى به من اخراج ما وجب عليه فينبغي أن لا يقتصر عليه فان الاقتصار على
الواجبات وترك نوافل الخيرات انما هو حال الضعفاء فلا ينبغي للمؤمن المعتني باصلاح
شأنه مع الله تعالى ان يترك معاملة الله تعالى فيما لم يوجبه الله عليه فانه ان كان كذلك كان
حاله كمن يصلي الفرائض ولا يقوم برواتبها و يكفيك أيها العبد قوله تعالى فيما حكاه عنه
رسول الله عليه السلام ما تقرب الى المتقربون بمثل أداء ما افترضت عليهم ولا يزال عبدي

يتقرب

يتقرب الى بالنوافل حتى أحبه فاذا أحببته كنت له سمعا و بصرا و انا وقلبا وعقلا و يدا ومؤيدا فقصد بين سبحانه وتعالى أن تكرار النوافل والقيام بها يوجب للعبد وجود الحب من الله تعالى والنوافل كما لم يطالبك بها لسان الايجاب من صلاة أو صدقة أو حج أو غير ذلك ومثل القائم بالفرائض من الصلوات المقتصر عليها والقائم بها و بالنوافل أو المخرج للزكاة المقتصر عليها والمخرج لها والمؤثر معها كعبدين لسيد جعل عليهما كل يوم خراجا على كل عبد درهمين فاما العبد الواحد فانه يأتي للسيد بذلك ولا يزيد عليه شيأ ولا يهاديه ولا يوادده وأما العبد الآخر فانه يقوم للسيد كل يوم بما قام به صاحبه لكن يشترى من الطرف والفواكه ما يهدى الى سيده زائدا عن خراجه فهذا العبد لا محالة أحظى عند السيد وأوفر نصيبا من الحب وأقرب الى اقبال السيد لان العبد القائم بما خورج عليه غير متودد للسيد وانما أعطاه اشفاقا من عقوبته والعبد الذى أعطى لسيده ما خارجه عليه وهاداه بعد ذلك فهو قد سلك مسلك التودد للسيد والتعرض لحبه فهو حرى أن يظفر بقربه وحبه وانما جعل الحق تعالى الايجاب على العباد علما منه بما هم عليه من وجود الضعف وبما نفوسهم متصفة به من وجود الكسل فاوجب عليهم ما أوجب لانه لو خيرهم فيما أوجب عليهم لم يكونوا به قائمين الا قليلا وقليل ما هم فاوجب عليهم وجود طاعته وفى التحقيق ما أوجب عليهم الا دخول جنته فساقهم الى الجنة بسلاسل الايجاب عجب ربك من قوم يساقون الى الجنة بالسلاسل *(تنبيه واعلام)* اعلم رحمك الله انا تلمحنا الواجبات فرأينا الحق تعالى جعل فى كل ما أوجبه تطوعا من جنسه فى أى الانواع كان ليكون ذلك التطوع فى ذلك الجنس جابرا لما عساه أن يقع من الخلل فى قيام العبد بالواجبات وكذلك جاء فى الحديث انه ينظر فى مفروض صلاة العبد فان نقص منها شئ كمل له من النوافل فافهم رحمك الله هذا ولا تكن مقتصرا على ما فرض الله عليك بل ليكن فيك ناهضة حب توجب اكبابك على معاملة الله فيما لم يوجبه عليك ولو كان العباد لا يجدون فى موازينهم الا فعل الواجبات وثواب ترك المحرمات لفاتهم من الخير والمنة ما لم يحصره حاصر ولا يحزره حازر فسبحان الفاتح للعباد باب المعاملة والمبين لهم أسباب المواصلة واعلم ان الحق تعالى علم ان فى عباده ضعفاء وأقوياء فأوجب الواجبات و بين المحرمات فالضعفاء اقتصروا على الواجبات والترك للمحرمات وليس فى قلوبهم من سلطان الحب ووجود الشغف ما يحملهم على المعاملة من غير ايجاب فمثلهم كمثل العبد الذى يعلم السيد منه أنه ان لم يخارجه لم يهد اليه شيأ فلذلك وقت سبحانه وتعالى الاوراد ووظف وظائف العبودية وعرف ذلك بالطالع والغارب والزوال وصيرورة كل شئ مثله فى الصلاة وبالحول فى الاموال النامية فى العين والحرث والماشية وبوقت حصول المنفعة فى الزرع وآتوا حقه يوم حصاده وبعشر ذى الحجة فى الحج وبشهر رمضان فى الصيام فوظف الوظائف ووقتها وجعل للنفوس فيما سواها فسحة للحظوظ والسعى فى الاسباب وأهل الله تعالى وأهل الفهم عنه جعلوا الاوقات كلها وقتا واحدا والعمر كله نهجا الى الله قاصدا فعلموا ان الوقت كله له فلم يجعلوا شيأ منه لغيره ولذلك قال الشيخ أبو الحسن رحمه الله عليك بورد واحد

وهوا سقاط الهوى ومحبة المولى أبت المحبة أن تستعمل محبا الا فيما يوافق محبوبه وعلموا ان الانفاس أمانات الحق عندهم و ودائعه لديهم فعلموا انهم مطالبون برعايتها فوجهوا همهم لذلك وكما ان له الربوبية الدائمة كذلك حقوق ربوبيته عليك دائمة فربوبيته عليك غير مؤقتة بالاوقات فحقوق ربوبيته ينبغي أن تكون أيضا كذلك يقول الشيخ أبو الحسن رحمه الله فان لكل وقت سهما فى العبودية يقتضيه الحق منك بحكم الربوبية ولنحبس عنان المقال لئلا نخرج عن غرض الكتاب *(القسم الثالث)* من أقسام الايثار وهو الايثار بالنفس فهذا هو أفضل الوجوه الثلاثة وانما أوثر بغيره لاجله لمن آثر الله تعالى بما أوجبه عليه فقد لا يؤثره بما فى يديه مما لم يوجبه عليه ومن آثر الله تعالى بما فى يديه مما لم يوجبه عليه فقد لا يؤثره بنفسه ولا يسخو ببذلها فان السخاء بالنفس والبذل لها من أخلاق الصديقين وشأن أهل اليقين الذين عرفوا الله فبذلوا له نفوسهم علما منهم ان العبد لا يملك مع السيد شيأ واذا كان الايثار بالنفس هو أكمل الوجوه فيكون البخل بها أقبح الوجوه فقد تبين من هذا قول الشيخ ومن الشح والبخل بعد حصوله على طريق الالماح لا الاستقصاء فان الكتاب غير موضوع لهذا المعنى *(القسم الثالث)* من أقسام العوارض فى شأن الرزق فانا ذكرنا ان العوارض التى تعرض فى شأن الرزق على ثلاثة أقسام عوارض قبل الحصول وعوارض فى حين الحصول وقد تقدم ذكرهما فى كلام الشيخ فيهما وبينا نحن ذلك وعوارض بعد حصوله ونفاده من الاسف والندم عليه ودوام التطلع اليه فينبغي أن نظهر منها أيضا واسمع قوله تعالى لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم وقول النبي عليه السلام لما توفى ولد لاحدى بناته قال عليه السلام اعلمها ان لله ما أخذ وله ما أعطى ومن أسف على فقد شئ دون الله تعالى فقد نادى على نفسه بوجود الجهل وثبات القطيعة اذ لو وجد الله لم يفقد شيأ دونه لمن وجد الله فلا يجد شيأ دونه حتى يكون له فاقدا وليعلم العبد ان ما فاته ليس له برزق وما كان عنده ففقده فليس له لانه لو كان رزقه ما ذهب عنه الى غيره بل كان عارية عنده أخذها المعير ممن أعارها واسترجع الشئ من أوجده وكان لبعضهم ابنة عم مسماة عليه من الصغر فلما كبر جرى ما منع زواجه اياها ثم تزوجت بزوج غيره فجاء اليه بعض أهل الفهم وقال له يصلح لك ان تعتذر الى هذا الزوج الذى تزوج ابنة عمك اذ كنت أنت المتطلع لزوجته اذ هى زوجته فى الازل وكفى بالمؤمن تحذيرا من الندم على ما فات قول الله تعالى ومن الناس من يعبد الله على حرف فان أصابه خير اطمأن به وان أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين فقد ذم الحق تعالى من يسكن للاشياء فى حين وجدها الا تراه كيف قال فان أصابه خير اطمأن به أى اطمأن بذلك الخير ولو فهم لما اطمأن بشئ دون الله تعالى ولكانت طمأنينته بالله وحده وكذلك من يحزن عليها عند فقدها لقوله تعالى وان أصابته فتنة والفتنة فقد ذلك المشتهى الذى كان اليه ساكنا انقلب على وجهه أى دهش عقله وذهلت نفسه وغفل قلبه وما ذلك الا لعدم معرفته بالله تعالى ولو عرف الله تعالى أغناه وجوده عن كل موجود واستغنى به عن كل مفقود ومن فقد الله لم

يجد شيأ ومن وجده لم يفقد شيأ وكيف يفقد شيأ من يجد من بيده ملكوت كل شئ وكيف يفقد شيأ من وجد الموجد لكل شئ وكيف يفقد شيأ من وجد الظاهر في كل شئ لما سوى الله عند أهل المعرفة لا يتصف بوجد ولا بفقد اذ لا يوجد غيره معه لثبوت أحديته ولا فقد لغيره لانه لا يفقد الا ما وجد ولو انهتك حجاب الوهم لوقع العيان على فقد الاعيان ولا شرق نور الايمان فغطى وجود الاكوان * واذ قد فهمت هذا فينبغي لك أيها العبد أن لا تأس على فقد شئ وان لا تركن بوجود شئ فان من وجد شيأ فركن اليه أو فقد شيئا فحزن عليه فقد أثبت عبوديته لذلك الشئ الذي أفرحه وجوده وأحزنه فقده * وافهم ههنا قوله عليه السلام تعس عبد الدينار تعس عبد الدرهم تعس عبد الخميصة تعس وانتكس واذا شيك فلا انتقش فلا تحكم في قلبك أيها المؤمن شيأ الا حب الله ووده فانك أشرف من أن تكون عبدا لغيره فقد جعلك عبدا كريما فلا تكن عبد لئيما وقد أبي لاهل الفهم عن الله تعالى فهمهم أن يركنوا الوجد أو يتطلعوا الفقد حفظا لعبوديتهم وتحقيقا لحريتهم عما سواه وسمعت شيخنا أبا العباس رحمه الله يقول الكائن في الحال على قسمين عبد هو في الحال بالحال وعبد هو في الحال بالمحول والذي هو في الحال بالحال هو عبد الحال والذي يفرح بها اذا وجدها ويحزن عليها اذا فقدها وعبد هو في الحال بالمحول فذلك عبد الله لا عبد الحال وهو الذي لا يأسى عليها اذا فقدها ولا يفرح اذا وجدها فقوله تعالى ومن الناس من يعبد الله على حرف أي على وجهة واحدة فان زالت نزالت طاعته وانفصلت موافقته ولو فهموا عنا لعبدنا على كل حالة وفي كل وجهة كما انه ربك تعالى في كل حال كذلك فكن له عبدا في جميع الاحوال فقوله سبحانه وتعالى فان أصابه خير اطمأن به أي ان اصابه خير مما يلائم نفسه هو في نظره خير وقد يكون شرا في نفس الامر وان أصابته فتنة انقلب أي فقد ذلك الخير الذي كان به مطمئنا وسماه فتنة لان في الفقد اختبار ايمان المؤمن وفي الفقد يظهر أحوال الرجال فكم من ظان أن غناه بالله وانما غناه بوجود أسبابه وتعددات اكتسابه وكم من ظان أن أنسه بربه وانما أنسه بحاله دليل ذلك فقدانه لانسه عند فقدان حاله فلو كان أنسه بربه لدام أنسه بدوامه ولبقي ببقائه وقوله تعالى خسر الدنيا والآخرة خسر الدنيا بفقدان ما أراد منها وخسر الآخرة لانه لم يعمل لها فقد فاته ما طلبه وهو ما طلبنا حتى نكون له فافهم

﴿فصل﴾ نذكر فيه أمثلة التدبير مع الله تعالى والمدبرين معه وأمثلة الرزق وضمان الحق تعالى له فان بالمثال يتبين الحال مثل المدبر مع الله كمن بنى بناء على شاطئ البحر كلما اجتهد في بنائه كثرت عليه الامواج فتداعى جميع أنحائه كذلك المدبر مع الله تعالى يبني مباني التدبير وتهدمها واردات المقادير لاجل ذلك قيل يدبر المدبر والقضاء يضحك وقال الشاعر

متى يبلغ البنيان يوما تمامه * اذا كنت تبنيه وغيرك يهدم

﴿مثال آخر﴾ مثل المدبر مع الله تعالى كرجل جاء الى رمال متراكمة فوضع عليها بناءه فجاءت العواصف فنسفت الرمال فتهدم ما بناه كما قيل

وعهودهم بالرمل قد درست * وكذا النماينبي على الرمل

﴿مثال آخر﴾ مثل المدبر مع الله تعالى كمثل ولد سافر مع والده فسار الليل والاب لاشفاقه على الولد مراقبه من حيث لا يراه الولد والولد لا يرى الوالد للظلمة الحائلة بينهما فالولد مهموم بأمر نفسه كيف يفعل في شأنه فاذا طلع القمر ورأى قرب الاب منه سكن جأشه وهدأ روعه لانه رأى قرب أبيه منه فاغتنى بتدبيره له عن تدبيره لنفسه كذلك المدبر مع الله تعالى لنفسه انما دبر لانه في ليل القطيعة فلم يشهد قرب الله تعالى منه فلو طلع قمر التوحيد أو شمس المعرفة لرأى قرب الحق تعالى منه فاستحى أن يدبر معه واغتنى بتدبير الله تعالى له عن تدبيره لنفسه

﴿مثال آخر﴾ التدبير شجرة تسقى بماء سوء الظن وثمرتها القطيعة عن الله تعالى اذ لو حسن العبد ظنه بربه لماتت شجرة التدبير من قلبه لانقطاع غذائها وانما كان ثمرتها القطيعة عن الله تعالى لان من دبر لنفسه فقد اكتفى بعقله ورضي بتدبيره واحتيال على وجوده فعقوبته أن يحال عليه وأن يمنع واردات المنن أن تصل اليه

﴿مثال آخر﴾ مثل المدبر مع الله كعبد أرسله سيده الى بلد له ليصنع له فيها قماشا فدخل العبد تلك البلدة فقال أين أسكن ومن أتزوج فاشتغل بذلك وصرف همته لما هنالك وعطل ما أمره به السيد حيث دعاه سيده اليه فجزاؤه من سيده أن جازاه بالقطيعة ووجود الحجبة لاشتغاله بأمر نفسه عن حق سيده كذلك أنت أيها المؤمن أخرجك الحق الى هذه الدار وأمرك فيها بخدمته وقام لك بوجود التدبير لك منه فان اشتغلت بتدبير نفسك عن حق سيدك فقد عدلت عن سبيل الهدى وسلكت مسالك الردى ﴿مثال آخر﴾ مثل المدبر مع الله تعالى والذي لا يدبر كعبدين للملك اما أحدهما فمشتغل بأوامر سيده ولا يلتفت الى ملبس ولا مأكل بل انما همه خدمة السيد فاشغله ذلك عن التفرغ لحظوظ نفسه ومهماتها وعبد آخر كيف ما طلبه السيد وجده في غسل ثيابه وسياسة مركوبه وتحسين زيه فالعبد الاول أولى باقبال السيد من العبد الثاني المشتغل بحظوظ نفسه ومهماتها عن حقوق سيده والعبد انما اشترى للسيد لا لنفسه كذلك العبد البصير لا تراه الا مشغولا بحقوق الله تعالى ومراقبة أوامره عن محاب نفسه ومهماتها فلما كان كذلك قام له الحق تعالى بكل أمره وتوجه له بجزيل عطائه اصدقه في توكله ومن يتوكل على الله تعالى فهو حسبه والغافل ليس كذلك لا تجده الا في تحصيل أسباب دنياه وفي الاشياء التي توصله الى هواه قائما بوجود التدبير من نفسه لنفسه محالا عليها مقطوعا به عن وجود حسن الثقة وصدق التوكل ﴿مثال آخر﴾ مثل المدبر مع الله تعالى كالظل المنبسط في عدم استواء الشمس فاذا استوت الشمس في ذلك الظل حتى لا يبقى منه الا بقية رسم لا تمحوه المقابلة كذلك شمس المعرفة اذا قابلت القلوب محت منها وجود التدبير الا بقاء رسم من تدبير العبد أبقى فيه ليجري عليه التكليف ﴿مثال آخر﴾ * مثل المدبر مع الله تعالى لنفسه كرجل باع دارا أو عبدا ثم بعد المبايعة واتمامها جاء البائع الى المشتري فقال له لا تبن فيها شيئا أو اهدم منها بيت كذا أو افعل فيها كذا أو جاء البائع ليفعل ذلك فيقال له أنت قد بعت وليس لك بعد البيع تصرف فيما بعته اذ ليس بعد

المبايعة منازعة وقد قال سبحانه وتعالى ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بان لهم الجنة فعلى المؤمن أن يسلم نفسه لله وما اقترب اليها لانه اشتراها ولانه اشتراها ومن لازم التسليم ترك التدبير لما أنت له مسلم كما بيناه وأما الرزق فمثال رزق العبد فى هذه الدار كمثل سيد قال لعبده الزم هذه الدار قائما فيها بالخدمة كذا فلم يكن السيد ليأمره بذلك الا وهو يطعمه ويسقيه ويكسيه ويقوم له بوجود الكفاية ولا يهمله من الرعاية كذلك العبد أمره الله تعالى فى الدنيا بالطاعة والموافقة وضمن له وجود القسمة فليقم العبد بخدمته فان السيد قائم عليه بمنته قال الله تعالى وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسألك رزقا نحن نرزقك والعاقبة للتقوى وقد تقدم بيانه *(مثال آخر)* مثل العبد مع الله تعالى فى هذه الدنيا كالطفل مع أمه ولم تكن الام لتدع ولدها من كفالتها ولا ان تخرجه من رعايتها وكذلك المؤمن مع الله تعالى قائم له الحق تعالى بحسن الكفالة فهو سائق اليه المنن ودافع عنه المحن رأى رسول الله عليه السلام امرأة معها ولدها فقال أترون هذه طارحة ولدها فى النار فقالوا لا يارسول الله فقال عليه السلام الله أرحم بعبده المؤمن من هذه بولدها *(مثال آخر)* مثل العبد فى الدنيا كمثل عبد قال له سيده اذهب الى ارض كذا وكذا واحكم أمرك لان تسافر من تلك الارض فى برية كذا وخذ أهبتك وعدتك فاذا أذن له السيد فى ذلك فمعلوم أنه قد أباح له أن يأكل ما يستعين به على اقامة بنيته ليسعى فى طلب العدة وليقوم بوجود الاهبة كذلك العبد أوجده الحق فى هذه الدار وأمره أن يتزود منها لمعاده فقال الحق تعالى وتزودوا فان خير الزاد التقوى فمعلوم انه اذا أمره بالزاد للآخرة فقد أباح له أن يأخذ من الدنيا ما يستعين به على تزوده واستعداده وتأهبه لمعاده *(مثال آخر)* مثل العبد مع الله تعالى كمثل سيد له بستان أمر عبده أن يكون فيه غارسا وزارعا وقائما بمصلحته فان كان ذلك العبد حين أمره بذلك قام بما طلبه السيد منه لا يخرج عنه فليس السيد بلائم له ولا مانع اياه من أكله من ذلك البستان فانه اذا أكل منه عمل فيه لكن على العبد أن يأكل ما يستعين به على الخدمة وأن لا يأكل أكل التمتع والتشهي *(مثال آخر)* مثل العبد مع الله كمثل والد غرس غرسا كثيرا وبنى ربعا كبيرا فقيل له لمن فعلت هذا فقال لولد عساه أن يحدث لى فهيأ للولد ما يحتاج اليه قبل وجوده حبا منه له أفترى اذا أعد له الاب قبل وجوده أيمنعه اياه بعد وجوده كذلك العبد مع الله تعالى هيأ له الحق المنة من قبل أن يخلقه فى هذه الدار لان المنة سابقة لوجودك ان فهمت ألا ترى انه سبق عطاؤه اياك وجودك ومنته عليك ظهورك اذ هو أعطى فى الازل قبل أن يكون العبد ويكون منه له عمل لما قسمه لك فى الأزل وادخره لك ليس بمانعه عنك أهو هيأ لك قبل الوجود ويمنعك لما وجدت *(مثال آخر)* مثل العبد مع الله تعالى كمثل أجير أتى به ملك الى داره وأمره بأن يعمل له عملا لما كان الملك ليأتى بالاجير فيستخدمه فى هذه الدار ويتركه من غير تغذية اذ هو أكرم من ذلك كذلك العبد مع الله تعالى فالدنيا دار الله والاجير هو أنت والعمل هو الطاعة والاجرة هى الجنة ولم يكن الله ليأمرك بالعمل ثم لا يسوق لك ما به تستعين عليه *(مثال آخر)* مثل

العبد مع الله تعالى كمثل ضيف نزل على ملك كريم في داره فحق على ذلك الضيف أن لا يهتم بمأكل ولا مشرب لانه ان فعل ذلك كان تهمة للملك وسوء ظن منه به وقد تقدم ذلك من قول الشيخ أبي مدين رحمه الله كذلك الدنيا دار الله والعباد فيها ضيوفه ولم يكن الله تعالى ليأمر بالضيافة على لسان رسوله عليه السلام ويكون لها تاركا فالمهتم فيها بمأكل ومشرب ممقوت في نظر الملك اذ لولا شكه في الله لما كان يهتم بشأنه *(مثال آخر)* مثل العبد مع الله تعالى كمثل عبد أمره الملك أن يقيم في أرض كذا ليحارب العدو الذي هنالك وأن يبذل عزمه في مجاهدته وأن يدوم على محاربته فمعلوم أنه اذا أمره بذلك أنه يبيح له أن يأكل من اهداء تلك البلدة ومخازنها بالامانة ليستعين بذلك على محاربة العدو الذي أمره الملك بمحاربته كذلك العباد أمرهم الحق بمحاربة الشيطان بقوله وجاهدوا في الله حق جهاده وقال ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا فلما أمرهم بمحاربته أذن لهم أن يتناولوا من منته ما يستعينون به على محاربة الشيطان اذ لو تركت المأكل والمشرب لم يمكنك أن تقوم لطاعته ولا ان تنهض بخدمته فقد تضمن أمر الملك بالمجاهدة اباحة تناول ما هو منسوب للملك مما هو معد لك لكن على طريق الامانة محفوفا بالصيانة *(مثال آخر)* مثل العبد مع الله تعالى كشجرة غرسها غارس طالبا نموها ونتاجها فقد علمت الشجرة ان يكن لها علم أو علمنا ذلك فيها انه ما كان ليغرسها ويمنعها السقي كيف وهو حريص على نتاجها مريد لنمائها كذلك أنت أيها العبد شجرة الله غارسك وهو ساقيك في كل وقت قائم لك بوجود التغذية فلا تتهمه أن يغرس شجرة وجودك ثم يمنعك من السقيا بعد الغرس فانه ليس بغافل *(مثال آخر)* مثل العبد مع الله تعالى كمثل ملك له عبيد بنى دارا وأحسنها وبهجها وتولى غراسها وكمل المشتهيات فيها في غير الموطن الذي العبيد فيه وهو يريد أن ينقلهم اليها أترى اذا كان هذا غايته بهم فيما ادخره لهم عنده وهيأ لهم بعد الرحلة أيمنعهم ههنا أن يتناولوا من منته وفضلات طعامه وهو قد هيأ لهم الامر العظيم والفضل الجسيم كذلك العباد مع الله جعلهم في الدنيا وهيأ لهم الجنة كما هيأ لهم الآخرة وهو يريد أن يمتعهم من الدنيا بما يقوم به وجودهم ولذلك قال تعالى كلوا واشربوا من رزق الله وقال تعالى كلوا من رزق ربكم واشكروا له وقال يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا وقال يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم فاذا ادخر لك الباقي ومن به عليك لا يمنعك الفاني فان منعك منه فانما منعك ما لم يقسم لك وما لم يقسم لك فليس لك فكان ذلك المنع لك منه عطاء ونظرا اعلم ان فيه مصلحة وجودك ونظام أمرك كما يقطع توالي الماء عن الشجرة لئلا يتلفها دوام السقيا *(مثال آخر)* مثل المتهمم بأمر دنياه الغافل عن التزود لآخرته كمثل انسان هاجه سبع وقد كاد أن يفترسه ووقع عليه ذباب فاشتغل بذب ذلك الذباب ودفعه عن الضرر من الاسد فهذا عبد أحمق فاقد وجود العقل ولو كان بالعقل متصفا لشغله أمر الاسد وصولته وهجومه عليه عن الفكرة في أمر الذباب والاشتغال به كذلك المتهمم بأمر دنياه الغافل عن التزود لآخراه دل ذلك منه على وجود حمقه اذ لو كان فاهما عاقلا لتأهب للدار الآخرة التي هو مسؤل عنها وموقوف فيها ولا

يشتغل

يشتغل بالاهتمام بأمر الرزق فان الاهتمام به بالنسبة الى الآخرة كنسبة الذباب الى مفاجأة الاسد وهجومه *(مثال آخر)* مثل العبد مع الله تعالى كمثل الطفل مع أبيه لا يعول مع الاب هما ولا يخشى عدما لعلمه ان الاب قائم له بوجود الكفالة فطيبت الثقة به عيشه وأزال الاعتماد على أبيه غمه كذلك العبد المؤمن مع الله تعالى لا يعول الهموم ولا ترد بساحة قلبه الغموم من شأن الرزق لعلمه بان الحق لا يدعه ومن فضله لا يقطعه ومن جوده واحسانه لا يمنعه *(مثال آخر)* مثل العبد مع الله تعالى كعبد له سيد غنى متصف بالثروة والاحسان الى عبيده وغيرهم معروف بالمنح موصوف بالجود والعطاء والعبد بفضله واثق ولاحسانه رامق علم من سيده الغنى فأخرجه ذلك عن وجود العنا وهذا بعينه كان سبب توبة شقيق البلخى رحمه الله قال غبرت فى زمن مجاعة فوجدت غلاما منبسطا منشرحا ليس عنده علم مما الناس فيه فقلت له يافتى أما تعلم ما الناس فيه فقال وما أبالى ولمولاى قرية خالصة يدخل الينا كل يوم ما نحتاج اليه فقلت فى نفسى ان كان لسيده هذا قرية خالصة فمولاى له خزائن السموات والارض فأنا أولى بالثقة من هذا بسيده وهو كان سبب انتباهى *(مثال آخر)* مثل العبد المتسبب المرزوق فى وجود السبب كمثل عبد قال له السيد اعمل وكل من عملك ومثال المتجرد كمثل عبد قال له السيد الزم أنت خدمتى وأنا أسوق اليك منتى *(مثال آخر)* مثل العبد النافذ الى الله تعالى فى الاسباب بمثابة الرجل يقعد تحت الميزاب اذا أمطرت السماء فهو يشكر الله تعالى وحده ولا يلزم من قعوده تحت الميزاب أن يضيف المطر له بل علم أنه ان لم يكن فيه لم يجد شيأ كذلك الاسباب ميازيب المنن لمن دخل فى الاسباب وهمته متعلقة بالله تعالى لا بها لم يضره ذلك ولم يخش عليه القطيعة فيما هنالك ومثل الواقف مع الاسباب الغافل عن وليها كمثل البهيمة يعبر عليها مالكها فلا تلتفت اليه وهو المالك لها والمعطى لسائسها ما ينفق عليها فاذا عبر سائسها بصبصت بعينها وتشوقت اليه لاعتيادها منه أنه يتولى طعمتها فالعبد كذلك لانه اذا أجرى عليه الاحسان على أيدى الخلق يشهد ذلك منهم ولم يخرجه عنهم فهو كالبهيمة بل البهيمة أحسن حالا منه أولئك كالانعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون *(مثال آخر)* مثل الواقف مع الاسباب والنافذ الى الله فيها كمثل رجلين دخلا حماما أحدهما وافر العقل والآخر غالب عليه البلاهة فاذا توقف الماء فأما العاقل فيعلم ان له مصرفا من ورائه يصرفه ومجريا يجريه فيرجع اليه ليرسل له منه ما كان قطعه أو يفعل ما يشاء وأما الآخر فيأتى الى الانبوب فيقول أيها الانبوب اسكب لنا ماء مالك قطعتنى ماءك فيقال له انك لاحمق وهل الانبوب يسمع شيأ أو يفعل شيأ انما هى محل ومجرى يظهر فيها ما أجرى فيها * مثال العبد المدخر كعبد الملك جعله فى بستانه ليقوم باصلاح شأنه فللعبد أن يأكل من ثمرات ذلك البستان ما يتقوى به على الغراس والزراعة فيه وليس له أن يدخر لان ثمرة ذلك البستان دائمة وسيده غنى قادر فان ادخر بغير اذن سيده امساكا على نفسه وتهمة لسيده فقد خان *ومثال العبد الذى لا يدخر كعبد هو فى بستان السيد أو فى داره علم أنه لا ينساه سيده ولا يهمله بل يبذل له خيره ويوصل اليه بره فاغتنى بسيده عن الادخار معه وبغناه عن أن يحتاج وأن يعتمد

على شئ دونه فهذا العبد حرى أن يواجه بالاقبال وأن يسعف بالنوال ﴿مثال آخر﴾ المدخر بالامانة كعبد الملك لا يرى أن له مع سيده شيأ لا يعتمد ادخار ما فى يده ولا بذله بل لا يختار الا ما اختاره السيد له فاذا فهم هذا العبد أن الامساك مراد سيده أمسك لسيده لا لنفسه حتى يقضى موضع صرفه فيكون له صارفا حين يفهم عن سيده ارادة صرفه فهذا امساكه غير ملوم لانه أمسك لسيده لا لنفسه كذلك أهل المعرفة بالله تعالى ان بذلوا فلله وان أمسكوا فلله يبتغون ما فيه رضاه ولا يريدون ببذلهم وامساكهم الا اياه فهم خزان أمناء وعبيد كبراء وأحرار كرماء قد حررهم الحق تعالى من رق الآثار فلم يميلوا اليها بحب ولا أقبلوا عليها بود منعهم من ذلك ما أسكن فى قلوبهم من حب الله ووده وما امتلأت به صدورهم من عظمته ومجده وليس الممسك لله بدون الباذل له فصارت الاشياء فى أيديهم كهى فى خزائن الله من قبل أن تصل اليهم علما منهم ان الله تعالى عالم بكم ويملك ما ملكهم ومن لم يحسن الامساك لله لم يحسن البذل له فافهم

﴿فصل﴾ نذكر فيه مناجاة الحق سبحانه وتعالى لعبده على ألسنة هواتف الحقائق فى شان التدبير والرزق ﴿أيها العبد﴾ الق سمعك وأنت شهيد يأتك منى المزيد واصغ بسمع قلبك فأنا عنك لست ببعيد (أيها العبد) كنت لك بتدبيرى لك من قبل أن تكون لنفسك فكن لنفسك بأن لا تكون لها وتوليت رعايتها قبل ظهورك وأنا الآن فى الرعاية لها (أيها العبد) أنا المنفرد بالخلق والتصوير وأنا المنفرد بالحكم والتدبير لم تشاركنى فى خلقى وتصويرى فلا تشاركنى فى حكمى وتدبيرى أنا المدبر لملكى وليس لى فيه ظهير وأنا المنفرد بحكمى فلا أحتاج فيه الى وزير (أيها العبد) من كان لك بتدبيره قبل الايجاد فلا تنازعه فى المراد ومن عودك حسن النظر منه لك فلا تقابله بالعناد (أيها العبد) عودتك حسن النظر منى لك فكن على اسقاط التدبير معك معى (أيها العبد) أشكا بعد وجود التجربة وحيرة بعد وجود البيان وضلالا بعد وضوح الهدى أما يحيلك على علمك بأنه لا مدبر لك غيرى أما يجنبك من المنازعة لى ما سبق من وجود خيرى (أيها العبد) انظر نسبة وجودك من أكوانى ترى انك متلاش فى الفانى فما ظنك بما ليس بفانى وقد سلمت لى قيامى بمملكتى وأنت من مملكتى فلا تنازع ربوبيتى ولا تضادد بتدبيرك معى وجود الاهيتى (أيها العبد) أما يكفيك انى أكفيك اما يوجب سكونك لى سوابق عوائدى فيك (أيها العبد) متى احوجتك اليك حتى تحتال عليك ومتى وكلت شيأ من مملكتى لغيرى حتى أكل ذلك اليك (أيها العبد) أعددت لك جودى من قبل أن أظهرك لوجودى وظهرت بقدرتى فى كل شئ فكيف يمكنك جحودى (أيها العبد) متى خاب من كنت له مدبرا ومتى خذل من كنت له منتصرا (أيها العبد) لتشغلك خدمتى عن طلب قسمتى وليمنعك حسن الظن بى عن اتهام ربوبيتى (أيها العبد) لا ينبغى أن يتهم محسن ولا أن ينازع مقتدر ولا أن يضادد قهار ولا أن يعترض على حكم حكيم ولا أن يقال هم مع لطيف (أيها العبد) لقد فاز بالنجح من خرج عن الارادة معى ولقد دل على يسر الامر من احتال على ولقد ظفر بكنز الغنى من صدق فى الفاقة الى ولقد استوجب النصر منى عبد اذا

تحرك بي ولقد استمسك بأقوى الاسباب من استمسك بسببي انى آليت على نفسى أن أجازي أهل التدبير بوجود التكدير وان أهدم ما شيدوا وأحل ما عقدوا وأن أكلهم اليهم وأن أحيلهم عليهم ممنوعين من روح الرضا ونعيم التفويض فلو فهموا عنى لاقتنعوا بتدبيري لهم عن تدبيرهم لانفسهم وبرعايتي لهم عن رعايتهم اياها فاذا كنت أسلك بهم سبيل الرضا وانهج بهم منهج اهل الهدى واسعى بهم فى طريق بيضا واجعل عنايتي بهم واقية لهم من كل ما يخافون وجالبة لهم جميع ما يرجون وذلك على يسير ﴿أيها العبد﴾ نريد منك أن تريدنا ولا تريد معنا ونختار لك أن تختارنا ولا تختار معنا ونرضى لك أن ترضانا ولا نرضى لك ان ترضى سوانا ﴿أيها العبد﴾ ان قضيت لك فلا راد فى ظهور فضلى عليك وان قضيت عليك فلا ناني ان يدان أو ردفى قضائي اسرار الطفى اليك ﴿أيها العبد﴾ لا تجعل جزاء ما أظهرت فيك من نعمتي وجود منازعتي ولا تجعل عوض ما احسنت لك بالعقل الذى ميزتك به وجود مضاددتي ﴿أيها العبد﴾ كما سلمت لى تدبير أرضى وسمائي وانفرادي فيهما بحكمى وقضائي سلم وجودك لى فانك لى ولا تدبر معي فانك معي واتخذنى وكيلا وثق بي كفيلا اعطيك عطاء جزيلا واهبك فخرا جليلا ﴿أيها العبد﴾ انى حكمت فى ازلى انه لا يجتمع فى قلب عبدى ضياء التسليم لى وظلمة المنازعة معى فمتى كان واحد منهما لم يكن الآخر معه فاختر لنفسك ويحك انا أجللنا قدرك أن تشتغل بأمر نفسك فلا تصغر قدرك يا من رفعناه ولا تذل بحوائجك على غيري يامن أعززناه ويحك أنت أجل عندنا من أن تشتغل بغيرنا لحضرتي خلقتك واليها خطبتك وبجواذب عنايتي اليها جذبتك فان اشتغلت بنفسك حجبتك وان اتبعت هواها طردتك وان خرجت عنها قربتك وان توددت لى بالاعراض عما سواي أحببتك ﴿أيها العبد﴾ أما كفاك لو اكتفيت وهداك لو اهتديت أنى أنا الذى خلقت فسويت وتصدقت فأعطيت أما يمنعك ذلك من منازعتي فيما قضيت ومعارضتي فيما أبديت ﴿أيها العبد﴾ ما آمن بي من نازعني ولا وحدني من دبر معي ولا رضي بي من شكا ما أنزلت به الى غيري ولا اختارني من اختار معي وما امتثل أمرى من لم يستسلم لقهري ولا عرفني من لم يفوض أمره الى ولقد جهلني من لم يتوكل على ﴿أيها العبد﴾ يكفيك من الجهل أن تسكن لما فى يدك ولا تسكن لما فى يدي وان أختار لك أن تختارني فتختار على ويحك لا تجتمع عبودية واختيار ولا ظلم وأنوار ولا توجهك لى وتوجهك للآثار فأما أنا لك أو أنت لنفسك فاختر على بيان ولا تستبدل الهدى بالخسران ﴿أيها العبد﴾ لو طلبت منى التدبير لنفسك جهلت فكيف اذا دبرت لها ولو اخترت معي ما أنصفت فكيف اذا اخترت على ﴿أيها العبد﴾ لو أذنت لك أن تدبر كان يجب أن تستحي من أن تدبر وكيف وقد أمرتك أن لا تدبر بأمرهم وما ينفعهم لو ألقيتها الينا لاسترحت ويحك اعباء التدبير لا يحملها الا الربوبية ولا تقوى عليها البشرية ويحك أنت محمول فلا تكن حاملا أردنا راحتك فلا تكن متعبا لنفسك من دبرك فى ظلمات الاحشاء وأعطاك بعد الوجود ما تشاء لا ينبغى لك أن تنازعه فيما يشاء *(أيها العبد)* أمرتك بخدمتي وضمنت لك قسمتي فاهملت ما أمرت

وشككت فيما ضمنت ولم أكتف لك بالضمان حتى أقسمت ولم أكتف بالقسم حتى مثلت
وخاطبت عبادا يفهمون فقلت وفي السماء رزقكم وما توعدون فورب السماء والارض انه
لحق مثل ما أنكم تنطقون ولقد اكتفى بوصفي العارفون واحتال على كرمي الموقنون فلو
لم يكن وعدي لعلموا انى لا أقطع عنهم واردات رفدي ولو لم يكن ضماني لوثقوا بوجود
احساني وقدر رزقت من غفل عني وعصاني فكيف لا أرزق من أطاعني ورعاني ويحك
الغارس للشجرة هو ساقيها والممد للخليقة هو باريها و يكفيها انه كافيها ومكافيها ممن
كان الايجاد وعلى دوام الامداد ممن كان الخلق وعلى دوام الرزق ويحك هل تدعو
لدارك الا من تريد أن تطعمه وهل تنسب لنفسك الا من تحب ان تكرمه *(أيها العبد)*
اجعل همك في مكان همك برزقك فان ما حملته عنك فلا تتعين به وما حملته أنت فكن أنت به
أن ادخلك داري وتمنعك ابراري أنبرزك لكوني وتمنعك وجوده وفي اخرجك الى وجودي
وتمنعك جودي أأطالبك بحقي وأمنعك وجود رزقي أأقتضي منك خدمتي ولا أقضي لك
بقسمتي ويحك عندي لك هبات شتى وفيك أظهرت رحمتي وما قنعت لك بالدنيا حتى ادخرت
لك جنتي وما اكتفيت لك بذلك حتى اتحفتك برؤيتي فاذا كانت هكذا افعالي فكيف
تشك في افضالي *(أيها العبد)* لابد لنعمتي من آخذ ولفضلي من قابل وانا الغني عن
الانتفاع بالمنافع لما دل عليه الدليل القاطع فلو سألتني أن امنعك من رزقي ما أجبتك ولو
سألتني ان أحرمك من فضلي ما أحرمتك فكيف وأنت دائما تسالني وكثيرا ما تطلب مني
فاستح مني ان كنت لا تستحي مني وافهم عني ولقد أعطى كل العطاء من فهم عني *(أيها
العبد)* تخيرني ولا تتخير على ووجه قلبك بالصدق الى فانك ان تفعل أريك غرائب لطفي
وبدائع جودي وأمتع سرك بشهودي لقد أظهرت الطريق لاهل التحقيق و بينت معالم
الهدى لذوي التوفيق فحقق سلم الى الموقنون و بدبان توكل على المؤمنون علموا اني لهم
خير من أنفسهم لانفسهم وان تدبيري لهم أجدى عليهم من تدبيرهم لها فاذعنوا لربوبيتي
مستسلمين وطرحوا أنفسهم بين يدي مفوضين فعوضتهم عوض ذلك راحة في نفوسهم
ونورا في عقولهم ومعرفة في قلوبهم وتحققا بقربي في أسرارهم هذا في هذه الدار ولهم عندي
اذا قدموا على ان أحل منهم واعلى محلهم وانشر الوية المجد عليهم ولهم اذا ادخلتهم
داري ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر *(أيها العبد)* الوقت الذي
أنت تستقبله لم أطالبك فيه بالخدمة فكيف تطالبني فيه بالقسمة فاذا كلفتك تكلفت لك
واذا استخدمتك أطعمتك واعلم باني لا أنساك وان نسيتني واني ذكرتك من قبل ان
ذكرتني وان رزقي عليك دائم وان عصيتني فاذا كنت كذلك لك في اعراضك عني فكيف
ترى أكون لك في اقبالك على ما قدرتني حق قدري ان لم تستسلم لقهري ولا رعيت حق بري ان لم
تمتثل أمري فلا تعرض عني فانك لا تجد من تستبدل مني ولا تغتني بغيري فان أحدا لا يغنيك
عني انا الخالق لك بقدرتي وأنا الباسط لك منتي فكما أنه لا خالق غيري كذلك لا رازق
غيري أأخلق وأحيل على غيري وأنا المتفضل وامنع العباد وجود غيري فتق أيها

العبد

العبد بي فأنا رب العباد واخرج عن مرادك مع ابلاغك عين المراد واذكرسوابق لطفى ولا تنس حق الوداد ✱ أردنا ان نختم هذا الكتاب بدعاء مناسب لما الكتاب موضوع له وهو (اللهم) انا نسألك ان تصلي على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم في العالمين انك حميد مجيد اللهم اجعلنا من المستسلمين اليك ومن القائمين بين يديك وأخرجنا من التدبير معك أو عليك واجعلنا من المفوضين اليك اللهم انك قد كنت لنا من قبل ان نكون لانفسنا فكن لنا بعد وجودنا كما كنت قبل وجودنا والبسنا ملابس لطفك وأقبل علينا بحنانك وعطفك وأخرج ظلمات التدبير من قلوبنا واشرق نورا لتفويض في اسرارنا وأشهدنا حسن اختيارك لنا حتى يكون ما تقتضيه فينا وتختاره لنا أحب الينا من مختارنا لانفسنا اللهم لا تشغلنا بما ضمنت لنا عما أمرتنا ولا بشئ أنت ضامنه لنا عن شئ أنت طالبه منا اللهم انك دعوتنا الى الانقياد اليك والدوام بين يديك وانا عن ذلك عاجزون الا ان تقدرنا وضعفاء الا ان تقوينا ومن أين لنا ان نكون في شئ الا ان كونتنا وكيف لنا ان نصل لشئ الا ان وصلتنا وأنى لنا ان نقوى على شئ الا ان اعنتنا فوفقنا لما به أمرتنا واعنا على الانكفاف عما عنه زجرتنا اللهم ادخلنا رياض التفويض وجنات التسليم ونعمنا بها وفيها واجعل أسرارنا معك لا مع نعيمها ولذتها ولذنا بك لا بزينتها و بهجتها اللهم أشرق علينا من أنوار الاستسلام اليك والاقبال عليك ما تبتهج به أسرارنا وتتكمل به أنوارنا اللهم انك قد دبرت كل شئ قبل وجود كل شئ وقد علمنا انه لن يكون الا ما تريد وليس هذا العلم نافعا لنا الا ان تريد فردنا بخيرك وارفع شأننا بفضلك واقصدنا بعنايتك وحفنا برعايتك واكسنا من ملابس أهل ولايتك وادخلنا في وجود حمايتك انك على كل شئ قدير اللهم انا علمنا ان حكمك لا يعاند وقضاءك لا يضادد وقد عجزنا عن رد ما قضيت ودفع ما امضيت فنسألك لطفا فيما قضيت وتأييدا فيما امضيت واجعلنا في ذلك ممن رعيت يا رب العالمين اللهم انك قد قسمت لنا قسمة أنت موصلها لنا فوصلنا اليها بالهناء والسلامة من العناء مصانين فيها من الحجبة محفوفين فيها بانوار الوصلة نشهدها منك فنكون لك من الشاكرين ونضيفها لك ولا نضيفها لاحد من العالمين اللهم ان الرزق بيدك رزق الدنيا ورزق الآخرة فارزقنا منهما ما علمت فيه المصلحة لنا والعود بالجدوى علينا اللهم اجعلنا من المختارين لك ولا تجعلنا من المختارين عليك ومن المفوضين لك لا من المعترضين عليك اللهم انا اليك محتاجون فاعطنا وعن الطاعة عاجزون فاقدرنا وهب لنا قدرة على طاعتك وعجزا عن معصيتك واستسلاما لربوبيتك وصبرا على أحكام الهيتك وعزا بالانتساب اليك وراحة في قلوبنا بالتوكل عليك واجعلنا ممن دخل ميادين الرضا وكرع من تسنيم التسليم وجنى من ثمار المعارف والبس خلع التخصيص وأتحف بتحفة القرب وفواتح من حضرة الحب دائمين على خدمتك محققين لمعرفتك متبعين لرسولك وارثين عنه وآخذين منه ومحققين به وقائمين بالنيابة عنه واختم لنا منك بخير يا رب العالمين انتهى وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما

بحمد مولانا اللطيف الخبير والصلاة والسلام على البشير النذير تم طبع كتاب التنوير
في اسقاط التدبير بالمطبعة الوهبيه المشمولة باللطائف الالهيه وهو كتاب
يهذب النفوس عن دواعيها ويخلصها من رق دعاويها لم يأت عارف
بمثاله ولم ينسج ناسج على منواله كيف ومؤلفه خليفة المرسي أبي
العباس القطب الذي أحكم للطريقة الاساس وكان
تمام الطبع في أواسط شهر الله الحرام رجب
الذي تتوالى فيه البركات وتنصب
سنة ١٣٠٠ من هجرة سيد
المرسلين صلى الله
عليه وعلى
آله أجمعين
آمين